قِرَاءةُ أبي الجَوْزَاءِ الرَّبْعِيِّ (صَوْتِيًّا ودلاليًّا) في ضَوْءِ الدَّرْسِ اللُّغَويِّ الحَدِيثِ

إعداد
د. مُحَمَّد عَبْدالعَال السيِّد إبْراهِيم
أستاذ أصول اللغة المساعد
في كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، لا تَطمئنُّ القلوبُ إلا بذكره، ولا تسكنُ النفوسُ إلا بحُبِّه، ولا يُدرَكُ نجاحٌ إلا بتوفيقِه، ولا يقعُ أمرٌ إلا بإذنِه، ولا تُنال سعادةٌ إلا بطاعتِه، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيدنا مُحَمَّد (ﷺ)، الفاتحِ لمَا أُغلق، والخاتمِ لما سَبَق، ناصرِ الحقِّ بالحقِّ، والهادي إلىٰ صراطٍ مستقيم، وعلىٰ آلِه الأبرار، وصحابتِه الأخيار، ما تعاقب الليلُ والنهار، إلىٰ يومِ الدين، أما بعد.

ففي مُعايشةِ كتابِ اللهِ (تعالىٰ) متعةٌ لا تُدانيها متعة، مِنْ تدبُّرِ آياتِه، ودراسةِ قراءاتِه، واستخلاصِ أحكامِه، والوقوفِ علىٰ أسرارِه، فألفاظُ القرآنِ هي النصُّ الأمثلُ الذي تصلُ فيه اللغةُ أعلىٰ درجاتِ الفصاحةِ والبيانِ؛ فهي "لبُّ كلامِ العربِ وزُبدتُه، وواسطتُه وكرائمُه، وعليها اعتمادُ الفُقهاءِ والحُكماءِ في أحكامِهم وحِكَمِهم، وإليها مفزعُ حُذَّاق الشعراءِ والبلغاءِ في نظمِهم ونثرِهم، وما عداها وعدا الألفاظِ المتفرّعاتِ عنها والمشتقاتِ منها هو بالإضافةِ إليها كالقشورِ والنوىٰ بالإضافةِ إلىٰ أطايبِ الثمرةِ، وكالحُثالةِ والتبنِ بالإضافةِ إلىٰ لبوبِ الحنطةِ"(١).

وقد شغلتْ دراسةُ اللغةِ الباحثين والمفكِّرين علىٰ اختلافِ مشاربِهم وألوانِهم، وبما أنَّ القرآنَ الكريمَ هو وعاءُ تلك اللغةِ، فقد كان له النصيبُ الأوفر من تلك العناية؛ لا سيما قراءاته ورواياتها التي تتصلُ بأداءِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، والتي اعتمدَ عليها أهلُ اللغة في دراسة العربية الفصحىٰ سواءٌ أكانتْ متواترةً أم شاذةً.

وعلماءُ الأمةِ –سلفًا وخلفًا– مُتَّفقون علىٰ أن قراءاتِ القرآنِ منها متصلُ السندِ برسولِ اللهِ (ﷺ)، وبقي اتصالُه إلىٰ عهدِ التدوين، واشتهر عندهم باسمِ القراءاتِ المتواترةِ، أما ما انقطعَ سندُه من القراءاتِ عند قارئٍ معينٍ قبل عصرِ التدوينِ لسببٍ ما، كعدمِ الذيوعِ والانتشارِ، أو كونها مخالفةً لقياسِ النحوِ واللغةِ، فمعروفٌ عندهم بالقراءات الشواذ.

ومن النوعين يتم استنباطِ الأحكامِ الشرعيةِ، والاحتجاجِ بهما في اللغةِ، غير أنَّ الشاذ لا يُقرأ به في الصلاة.

ولذا شمَّر علماءُ اللغة عن سواعدِ الجدِّ، فتناولوا هذه القراءاتِ من جميعِ جوانبِها، صوتيةً وبنيويةً وتركيبيةً ودلاليةً، فأردتُّ أنْ أحوزَ شيئًا من هذا الشرف الذي نالوه، وأعُبَّ من المنهلِ العذبِ الذي وردوه، فولَّيْتُ وجهي شطرَ قراءة من القراءات، أُنقِّبُ عن مكنونها اللغوي، وحتىٰ أصلَ السابقَ باللاحقِ، أردتُّ أن تكون الدراسةُ في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ووفقني اللهُ (ﷻ) بمنِّه وكرمه إلىٰ أبي الجوزاء : أَوْس بْن عَبْدالله بْن خَالِد الرَّبْعِيِّ، الثبتِ الثقةِ الصدوقِ، أحدِ كبارِ العلماءِ، ومن التابعين

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٥٥، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٢هـ.

الأجلاء، فَرُحْتُ أجمعُ قراءاته المتناثرة من بطون كتب القراءاتِ والتفسيرِ التي نصَّتْ علىٰ نسبةِ القراءةِ إليه.

ولمَّا كانت القراءاتُ التي جمعتُها تبلغ خمسًا وسبعين قراءة، حيث شملت مستويات اللغة الأربعة، فقد أردتُ أن أتناولَها علىٰ مرحلتين، من خلالِ دراسة كل مستويين علىٰ حدة؛ حتىٰ يتسنَّىٰ لي إعطاءُ كلِّ جانبٍ من الجوانب حقَّه من البحثِ والدراسةِ، فكان الجزءُ الأولُ تحتَ عُنوان:

"قِرَاءةُ أبي الجَوْزَاءِ الرَّبْعِيِّ (صَوْتِيًّا ودلاليًّا)
في ضَوْءِ الدَّرْسِ اللُّغَويِّ الحديثِ"

أما سببُ اختياري قراءةَ أبي الجوزاء لتكونَ محلَّ دراستي فمرجعُهُ إلىٰ الأسباب الآتية:

أولًا: أنَّ أبا الجوزاء أحدُ جيل التابعين الموثوق بهم، ولذا اتصلتْ قراءتُه بأئمة الطبقة الأولىٰ من صحابةِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، كأمِّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وحبرِ الأمةِ وترجمانِ القرآنِ عبدِالله بنِ عباس (رضي الله عنهما)، وقد قال مفتخرًا بالتلقِّي عنهما: أقمت مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلا سَأَلْتُهُما عَنْها(١)، كما تلقَّىٰ من عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما)، وأبي هريرة (رضي الله عنه).

ثانيًا: اتَّصف أبو الجوزاء بصفاتٍ كريمةٍ، فقد أجمع علماءُ الجرح والتعديل علىٰ أنه كان ثقةً صدوقًا لم يكذبْ قط، كما كان رجلًا ديِّنًا عفَّ اللسان، صدوقَ القلب، لا ينافقُ ولا يماري ولا يتملَّقُ أحدًا، شأن كبار التابعين.

ثالثًا: كان أبو الجوزاء علىٰ هَدْيِ أهل السنة والجماعة، فقد كان يكرهُ المبتدعةَ وأصحابَ الأهواء.

رابعًا: يُعدُّ أبو الجوزاء ممن عاشوا كاملَ حياتِهم في القرنِ الأولِ الهجريِّ -عصر الفصاحة والاحتجاج- بما يضمنُ للغته السلامةَ والفصاحةَ، والبعدَ عن أي لحن أو خطأ.

خامسًا: القراءات الشاذة مَعِينٌ لا ينضَبُ، فهي تتكاملُ مع المتواترة في إبرازِ معنًىٰ، أو توضيحِ حكم، أو دَحْضِ شبهة، مما يجعل دراستهما معًا كُلًّا لا يتجزَّأ.

سادسًا: غزارة المادة اللغوية في قراءة أبي الجوزاء باشتمالها علىٰ قضايا لغوية عدة، بجانب شمولها مستويات اللغة الأربعة، مما يجعلها حقلًا خصبًا للدراسات اللغوية.

أما عن المنهج الذي سلكتُه فقد حاولتُ أن أجمع في دراستي بين المنهجين الوصفيِّ والمقارنِ، فبعد ذكْرِ الآيةِ القرآنيةِ التي تضمَّنت القراءةَ- أبدأ بذكر قراءة الجمهور، مُثنِّيًا بقراءة أبي الجوزاء ومَنْ معه، فيظهرُ بذلك الفرقُ بين القراءتين، فأبدأ بتوجيه كليهما، مع بيان علاقةِ كلٍّ منهما بالأخرىٰ،

(١) ينظر: التاريخ الكبير للإمام البخاري: ١٦/٢، ١٧، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

مستعينًا في ذلك بكتب القراءاتِ والتفسيرِ واللغةِ وغيرها، وبيان العلاقةِ بين هذه القراءاتِ ولغاتِ العرب.

واقتضتْ طبيعةُ البحث أن يكون في ثلاثة فصول مسبوقةٍ بمقدمةٍ ومتلوةٍ بخاتمةٍ:

تناولتُ في المقدمةِ أهميةَ الموضوع وأسبابَ اختياره والمنهجَ المتَّبعَ في دراسته.

الفصلُ الأولُ جاء عنوانه: (أبو الجوزاء ومكانةُ قراءتِه بين القراءات)، وقد اشتملَ علىٰ مبحثين:

- المبحث الأول: التعريفِ بأبي الجوزاء، ببيانِ اسمِهِ، ومولدِهِ، ونشأتِهِ، وأخلاقِهِ، وأقوالِ العلماءِ فيه، وشيوخِهِ وتلاميذِهِ، ووفاتِهِ.
- المبحث الثاني: قراءةُ أبي الجوزاءِ ومكانتُها بين القراءاتِ.

الفصلُ الثاني: (قراءةُ أبي الجوزاء صوتيًّا)، واشتمل علىٰ ستة مباحث:

- المبحث الأول: الإتباع في الحركات.
- المبحث الثاني: التعاقب بين الصوامت.
- المبحث الثالث: التعاقب بين الصوائت.
- المبحث الرابع: الهمز والتسهيل.
- المبحث الخامس: الإدغام أو المماثلة.
- المبحث السادس: الحذف.

الفصلُ الثالث: قراءة أبي الجوزاء دلاليًّا، واشتمل علىٰ ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الاختلاف في الاشتقاق والدلالة.
- المبحث الثاني: الاختلاف في الاشتقاق دون الدلالة.
- المبحث الثالث: الاختلاف في الدلالة دون الاشتقاق.

ثم ذيَّلْتُ البحثَ بخاتمةٍ ضمَّنتها أهمَّ النتائج التي تمخَّضَتْ عنها الدِّراسةُ، مع جمعِ قراءاتِ أبي الجوزاء في فهرسٍ مستقلٍّ بها، قبل فهرسِ المصادرِ والمراجعِ، وفهرسِ الموضوعاتِ.

واللهَ (عَجَّلَ) أسألُ أن يُجنِّبنا الزلل في أقوالِنا وأعمالِنا وأفعالِنا، كما أرجوه (سُبْحَانَهُ) أن يكتب لهذا البحث القبولَ، فهو وحده العليم بما بذلتُ من جهدٍ في جمعه وتصنيفه ودراسته، كما أدعوه (سُبْحَانَهُ) أن يكون نافعًا كاتبَه وقارئيه في الدنيا والآخرة، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه علىٰ ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبينا المختار، وعلىٰ صحابتِهِ الأخيار، وآلِ بيتِهِ الأطهار، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

د. مُحَمَّد عبدالعال السيد إبراهيم

الفصلُ الأولُ

أبو الجوزاء وقراءتِه بين القراءات

ويشتملُ على مبحثين:

- المبحث الأول: التعريفِ بأبي الجوزاء: اسمِه، ونشأتِه، وشيوخِه وتلاميذِه، ووفاتِه.
- المبحث الثاني: قراءةُ أبي الجوزاءِ بين القراءاتِ.

المبحث الأول
التعريف بأبي الجوزاء

اسمه ومولده ونشأته:

هو أَوْسُ بْنُ عَبْدِالله بْنِ خَالد الرَّبْعِيُّ(١)، التابعيُّ البصريُّ، مِنْ كِبَارِ العُلَمَاءِ(٢).

لم تذكرْ لنا كتبُ التراجم شيئًا عن نشأته، ولا حدَّدتْ يوم مولده، والغالبُ أنه ولد بعد وفاة رسولِ اللهِ (ﷺ)، حيث اتفقتْ جميعًا علىٰ أنه من التابعين.

أخلاقُهُ وأقوالُ العلماء فيه:

---

(١) الرَّبْعِيُّ (بِسُكُون الْمُوَحَّدَة) نِسْبَة إِلَى رَبْعَة الأزد، وَيُقَال فِيهِ: الرَّبَعِي، بِالتَّحْرِيكِ أَيْضا؛ لِأَن ربعَة الأزد اسْمه ربيعَة بن الغطريف الْأَصْغَر، واسْمه الْحَارِث، بن عبدالله بن الغطريف الْأَكْبَر، واسْمه عَامر، بن بكر بن يشْكر بن مُبشر بن صَعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كَعْب بن الْحَارِث بن كَعْب بن عبد الله بن مَالك بن نصر بن الأزد بن الْغَوْث، فالمُحدِّثون يحركون الْمُوَحدَة فِي النِّسْبَة، نظرًا إِلَى ربيعَة، والنسَّابون يُسكِّنونها نِسْبَةً إِلَى ربْعَة، فَكل مِنْهُمَا صَوَابٌ، وَاللهُ أعلمُ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين القيسي الدمشقي الشافعي: ١٢٩/٤، تح/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١، ١٩٩٣م، وينظر: الطبقات لخليفة بن خياط ٣٥٢، تح/ د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م، ورجال صحيح مسلم لابن مَنْجُويَه: ٧١/١، تح/ عبدالله الليثي، دار المعرفة– بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، والمؤتلف والمختلف لابن القيسراني (الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط): ١٧٥، تح/ كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي: ٣٩٢/٣، تح/ د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار لبدر الدين العينى: ٧٨/١، تح/ محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٢) ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٦٦/٧، تح/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، وتاريخ ابن معين ليحيى بن معين: ١٩٢/٤، تح/ د. أحمد محمد نور، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي– مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م، والطبقات لخليفة بن خياط: ٣٥٢، والتاريخ الكبير للبخاري: ١٦/٢، وتاريخ الثقات لأبي الحسن العجلي: ٧٤، دار الباز، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م، والكنى والأسماء للإمام مسلم: ١٩٧/١، تح/ عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، والتاريخ وأسماء المحدثين لأبي عبدالله المقدمي: ٧٥، تح/ محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الكتاب والسنة، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٣٠٥/٢، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٢٧١هـ=١٩٥٢م، والثقات لابن حبان: ٤٢/٤، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، والمؤتلف والمختلف للدارقطني: ١٦٥/١، تح/ موفق بن عبدالله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، وذِكْر أسماء التابعين ومَنْ بَعْدهم ممن صَحَّتْ روايتُه عن الثقات عند البخاري ومسلم، للدارقطني: ٧٧/١، تح/ بوران الضناوي، مؤسسة الكتب الثقافية– بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م، وفتح الباب في الكُنى والألقاب لابن مَنْدَه العبدي: ٢٠٤، تح/ أبو قتيبة محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر– الرياض، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، وسِيَر السَّلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني: ٧٠٣، تح/ د. كرم بن حلمي بن فرحات، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

ذكره الدار قطني في (مَنْ صحَّتْ روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم)(١)، كما نصَّ عليه ابنُ حِبان في كتابه (الثقات) وقال: لم يَكْذبْ قطّ(٢)، وسُئل عنه أبو زرعة فقال: بصريٌّ ثقةٌ(٣)، ووثَّقه أَبُو حَاتِم الرَّازِيُّ(٤).

وكان (رحمه الله) رجلًا ديِّنًا عفَّ اللسان، صدوقَ القلب، لا ينافقُ ولا يُماري ولا يتملَّقُ أحدًا، شأن كبار التابعين، فقد رُوي عنه قوله: مَا لَعَنْتُ شَيْئًا قَطُّ، وَلاَ أَكَلْتُ شَيْئًا مَلْعُوْنًا قَطُّ، وَلاَ آذَيْتُ أَحَدًا قَطُّ ، وَلا مَارَيْتُ أَحَدًا قَطُّ، وَلَمْ أَجْلِسْ عَلَىٰ دَكَاكِينَ قَطُّ.

وكَانَ -أيضًا- مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تحرُّزًا عن النجاسات، وحرصًا علىٰ طهارة ثوبه وبدنه، حَتَّىٰ كَانَ لَهُ ثَوْبَانِ: أحدهما لِلصَّلاةِ عَلَىٰ حِدَةٍ، وَثَوْبٌ آخر للحمَّام عَلَىٰ حِدَةٍ.

وأورد الذهبي أنَّه كان علىٰ هدي أهل السنة والجماعة، وأنه يكره المبتدعة وأصحاب الأهواء(٥).

وَكَانَ أَبُو الجَوْزَاءِ قَوِيًّا مع كثرة عبادته وصومه، فقد كَانَ يُوْاصِلُ أُسْبُوْعًا وَيَقْبِضُ عَلَىٰ ذِرَاعِ الشَّابِّ، فَيَكَادُ يَحْطِمُهَا (يعني: ما يزيده الصوم إلا قوةً وبأسًا وشدةً، ولعله دليل الإخلاص)(٦).

شيوخه الذين تلقَّى عنهم:

يُعدُّ أبو الجوزاء من علماء الطبقة الثانية، فقد ذكره خليفة بنُ خياط في الطبقة الثانية من قُراء أهل البصرة(٧)، مما يعني تلقيه القرآنَ الكريمَ مباشرةً من علماء الطبقة الأولىٰ الذين تلقَّوْا آياتِ الذكرِ الحكيمِ غضًّا طريًّا من فم رسول الله (ﷺ)، ومن هؤلاء الصفوة الذين تتلمذ علىٰ أيديهم:

١- عَائِشَةُ بنتُ أبي بكر الصّديق (رضي الله عنها): حَبِيبَةُ حبيبِ الله (ﷺ)، وزوجُ النَّبِي (ﷺ)، أُمُّ الْمُؤمنِين (٨)، وَأَبُو الجوزاء أحد الذين تلقوا عنها حيث قال: أقمت مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلا سَأَلْتُهُما عَنْها(٩).

---

(١) ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم للدارقطني:١/٧٧.

(٢) الثقات لابن حبان ٤/٤٢.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٣٠٤.

(٤) التعديل والتجريح, لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الأندلسي: ١/٤١٣، تح/ د. أبو لبابة حسين، الناشر: دار اللواء للنشر والتوزيع- الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

(٥) سير السلف الصالحين للأصبهاني: ٧٠٣، وتاريخ الإسلام للذهبي: ٢/١٠٢٤، تح/ د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

(٦) الثقات لابن حبان ٤/٤٢، وسير السلف الصالحين للأصبهاني: ٧٠٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/٢١٧، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، وتاريخ الإسلام للذهبي: ٢/١٠٢٤، ومغاني الأخيار: ١/٧٨.

(٧) الطبقات لخليفة بن خياط: ٣٥٢.

(٨) في صحيح البخاري أنه قال لأم سلمة: "يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا" ينظر: صحيح البخاري: ٥/٣٠، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٩) ينظر: التاريخ الكبير: ٢/١٦.

٢- عَبْدالله بْن عَبَّاس بْن عَبْد المطلب بْن هاشم بْن عَبْد مناف، أَبُو الْعَبَّاس الْقُرَشِيّ الهاشمي ابْنُ عم رَسُول الله (ﷺ)، كني بابنه الْعَبَّاس، وهو أكبر ولده، وكان يسمىٰ البحر، لسعة علمه، ويلقب بحبر الأمة وترجمان القرآن، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف، وهو ابْنُ سبعين سنة(١)، وقد أكدت المصادر علىٰ أخذ أبي الجوزاء عن ابن عباس (٢).

٣- عَبدالله بْن عَمْرو بْن العاص القرشي: لم يكن بينه وبين أبيه فِي السن سوىٰ إحدىٰ عشرة سنة، أسلم قبل أبيه، وكان غزيرَ العلم، مجتهدًا فِي العبادة، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً(٣).

٤- أَبُو هُرَيْرة الدَّوسي اليماني: صاحبُ رَسُول اللهِ (ﷺ)، وأحْفظ الصحابة: قيل: كان اسمه عَبْد شمس فسُمِّي فِي الْإِسْلَام عَبْدالله أو عبدالرحمن، أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ منهم: أبو الجوزاء الربعي، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ فِي آخِرِ خِلافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ لَهُ يَوْمَ تُوُفِّيَ ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ سَنَةً. (٤)،

تلامذته:

لأبي الجوزاء تلاميذُهُ الذين تلقَّوْا عنه، منهم:

١- أَبُو الأَشْهَبِ الْعُطَارِدِيُّ: هُوَ الإِمَامُ الحُجَّةُ جَعْفَرُ بنُ حَيَّانَ العُطَارِدِيُّ البَصْرِيُّ الخَرَّازُ الضَّرِيْرُ.

روىٰ عَنْ: أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ، وَأَبِي الْجَوْزَاءِ الرَّبْعِيِّ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَبَكْرٍ الْمُزَنِيِّ، وَطَائِفَةٍ.

وَروىٰ عَنْهُ: يَحْيَىٰ الْقَطَّانُ، وَأَبُو الْوَلِيدِ، وَأَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ، وَعَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ، وَمُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ، وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو حَاتِمٍ.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعِينَ، فَقَدْ أَدْرَكَ مِنْ حَيَاةِ أَنَسٍ بِضْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وقد قرأ القرآن -فيما نقل أبو عمرو الدَّانِيُّ- عَلَىٰ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ، مَاتَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ(٥).

٢- بُدَيْلُ بْنُ ميسرةَ العقيلي الْبَصْرِيّ: رَوىٰ عَنْ: أَنَسٍ، وَأَبِي الْجَوْزَاءِ الرَّبْعِيِّ، وَعَبْدِاللهِ بْنِ شَقِيقٍ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، روىٰ عَنْهُ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، وَأَبَانُ الْعَطَّارُ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَجَمَاعَةٌ.

وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ عَلَىٰ الصَّحِيحِ(٦).

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى: ٢٧٩/٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير: ٢٩١/٣، تح/ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م، وتاريخ دمشق لابن القلانسي: ٢٨٥/٢٩، تح/ د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

(٢) ينظر: الكنى والأسماء للإمام مسلم: ١٩٧/١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٠٤/٢، والثقات لابن حبان: ٤٢/٤، ورجال صحيح البخاري: ١٠٢/١، وسير السلف الصالحين للأصبهاني ٧٠٣.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٩٧/٤، وتهذيب الكمال للمزي: ٣٥٩/١٥.

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٤٢/٤، وتهذيب الكمال للمزي: ٣٧٥/٣٤.

(٥) التعديل والتجريح, لأبي الوليد الأندلسي: ٤٥٣/١، وتاريخ الإسلام ٥٥١/٤، ورجال صحيح البخاري: ١٣٩/١.

(٦) التاريخ الكبير: ١٤٢/٢، والمؤتلف والمختلف للدارقطني: ١٦٥/١، وتهذيب الكمال: ٣١/٤، وتاريخ الإسلام: ٣٧٧/٣.

٣- عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ: أَبُو يَحْيَىٰ، وَقِيلَ: أَبُو مَالِكٍ، بَصْرِيٌّ صَدُوقٌ، رَوَىٰ عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ.

وَروىٰ عَنْهُ: حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَعَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ، وَنُوحُ بْنُ قَيْسٍ الْحَدّانِيُّ، وَآخَرُونَ، توفي سنة ثلاثين ومائة(١).

٤- مُحَمَّد بن جحادة الأَوْدِيّ الكوفي: أَحَدُ الأَئِمَّةِ الثِّقَاتِ.

حَدَّثَ عَنْ: أَنَسِ بنِ مَالِكٍ وعطاء ابن أَبِي رَبَاحٍ وَرَجَاءِ بنِ حَيْوَةَ وَالحَسَنِ وَبَكْرٍ المُزَنِيِّ وَأَبِي الجَوْزَاءِ الرَّبْعِيِّ وَنَافِعٍ وَغيرهم، وحَدَّثَ عَنْهُ: شُعْبَةُ وَسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ وَخَلْقٌ كثير.

وَثَّقَهُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ وَكَانَ مِنَ الفُضَلاَءِ الصُّلَحَاءِ، تُوُفِّيَ: بِطَرِيْقِ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ(٢).

٥- المفضَّلُ بنُ لاحق الرقاشي: أَبُو بشر البَصْرِيّ والد بشر بْن المفضل.

روىٰ عن: أبي الجوزاء، وعدي بْن أرطاة، ومحمد بن سيرين، ومحمد بْن المنكدر، ومكحول الشامي وأبي حفص.

ورَوَىٰ عَنه: عَبدُالله بْنُ المبارك، وفهدُ بْن حيان، ومسلمُ بْن إبراهيم، ومعاذُ بْن معاذ العنبري.

وثقه يحيىٰ بْن مَعِين، وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات"(٣).

وفاته:

حكىٰ البخاري وغيره أن وفاته كانت سَنَةَ ثلاث وثمانين، وقيل: سنة اثنتين وثمانين، والأشهر الأول(٤).

---

(١) تهذيب الكمال: ٢١١/٢٢، وتاريخ الإسلام: ٤٧٦/٣.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال للمزي ٥٧٥/٢٤، وسير أعلام النبلاء: ٣٠٩/٦.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال للمزي ٤٢٥/٢٨.

(٤) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لأبي سليمان الربعي: ٢٠٥، والطبقات لخليفة بن خياط: ٣٥٢، والتاريخ الكبير للبخاري: ١٦/٢، ورجال صحيح البخاري: ١٠٢/١، والتعديل والتجريح لأبي الوليد الأندلسي: ٤١٣/١، والثقات لابن حبان: ٤٢/٤، ورجال صحيح مسلم: ٧١/١، وتهذيب الكمال للمزي: ٣٩٢/٣.

المبحث الثاني

قراءةُ أبي الجوزاء بين القراءات

قبل الدخول في دراسة قراءة أبي الجوزاء دراسةً لغويةً، نحاول إلقاءَ الضوء -بإيجازٍ- علىٰ مفهومِ القراءات، وشروطِ صحةِ القراءةِ عند العلماءِ، وموضعِ قراءةِ أبي الجوزاء منها:

فالقراءةُ لغةً: مصدرٌ سماعيٌّ للفعل (قرأ)، يقال: قرأ يقرأ قراءةً وقُرآنًا، ومنه قولك: قرأت الكتابة قراءةً وقرآنًا(١)، والْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ -كما يقول ابن فارس- "أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ جُمَعٍ وَاجْتِمَاعٍ، مِنْ ذَلِكَ الْقَرْيَةُ، سُمِّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا، وَالْمِقْرَاةُ: الْجَفْنَةُ، سُمِّيَتْ لِاجْتِمَاعِ الضَّيْفِ عَلَيْهَا، أَوْ لِمَا جُمِعَ فِيهَا مِنْ طَعَامٍ.

قالوا: وَمِنْهُ الْقُرْآنُ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجَمْعِهِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ(٢)، وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللفَّظة الجمعُ، وكلُّ شَيْءٍ جَمعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه، وسُمِّيَ القُرآنُ قُرْآنًا لِأَنَّهُ جَمَعَ القِصَصَ، والأَمْرَ وَالنَّهْيَ، والوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، والآياتِ والسُّوَرَ بَعْضَهَا إِلَىٰ بَعْضٍ" (٣).

كما تُستعمل القراءةُ بمعنىٰ التلاوة فيقال: قرأتُ الكتاب قراءةً أي: تلوته تلاوةً(٤).

القراءة في الاصطلاح:

تباينت آراء العلماء في تعريف القراءة قديمًا وحديثًا، وهاك بعضها:

فالقراءات عند الزركشي: "اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كَتَبَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَثْقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا"(٥).

وعرفها ابن الجزري بأنها: "علمٌ بكيفية أداءِ كلماتِ القرآنِ واختلافِها معزوًّا لناقله"(٦).

---

(١) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ق ر أ): ٦٥/١، تح/ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، ١٩٩٠م.. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ق ر أ): ٣٦٤/١، تح/ عبدالكريم العزباوي وآخرين، سلسلة التراث العربي من إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (ق ر ي): ٧٨/٥، ٧٩، تح/ عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٠/٤، تح/ طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

(٤) لسان العرب لابن منظور (ق ر أ):١٢٨/١، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٥) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي: ٣١٨/١، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م،.

(٦) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري: ٩، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

وعرفها الشيخ عبدالعظيم الزرقاني بأنها: "مذهبٌ يَذهبُ إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفًا به غيرَه في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاقِ الرواياتِ والطرقِ عنه سواءٌ أكانت هذه المخالفةُ في نطقِ الحروفِ أم في نطقِ هيئاتها"(١).

والمتأملُ في هذه التعريفات يجد غايتَها واحدةً، وهي معرفةُ وجوه الاتفاق والاختلاف في كيفية نطق الحروف وكتابتها، وما يتعلق بها في هيئة النطق تخفيفًا وتشديدًا، وحذفًا وإثباتًا، ووصلًا وفصلًا، ولغةً وإعرابًا، مع التأكيد علىٰ أن مواضع الاتفاق والاختلاف، واختلاف الطرق الأدائية ثابتةٌ بالتواتر، متصلةٌ السند برسول الله (ﷺ)، مع التأكيد علىٰ أهمية السند وأهمية التواتر في القراءة، فـ "أئمةُ القراءةِ لا تعملُ في شيءٍ من حروف القرآن، علىٰ الأفْشىٰ في اللغة، والأقْيس في العربية، بل علىٰ الأثبتِ في الأثرِ، والأصحِّ في النقل، والروايةُ إذا ثبتتْ لا يردّها قياسُ عربية، ولا فشوُّ لغة؛ لأنَّ القراءةَ سنّةٌ متبعةٌ، يلزم قبولُها والمصيرُ إليها"(٢).

وجديرٌ بالذكر أن تعددَ القراءاتِ -علىٰ هذا النحو- تعددُ تنوعٍ وتكاملٍ وتآزرٍ، لا تعددُ تضاد وتناقض، حيث تتآزر القراءاتُ القرآنيةُ متكاملةً لأداء المعنىٰ المطلوب، كما سيظهر من خلال البحث.

مقاييس القراءة الصحيحة:

استقر العلماء علىٰ أن مقاييس القراءة الصحيحة ثلاثة، هي:

أولًا: صحة السند إلىٰ سيدنا رسول الله (ﷺ).

ثانيًا: موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.

ثالثًا: موافقة العربية ولو بوجه.

فإذا ما اكتملت هذه الشروطُ في إحدىٰ القراءات صارت صحيحةً، ووجب علىٰ الناس قبولُها، ولا يجوز لأحد ردُّها ولا إنكارُها؛ لأنها من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآنُ، سواء نقلت إلينا عن طريق السبعة أو العشرة أو غيرهم، وحيثما اختلَّ ركن منها صارت شاذة، حتىٰ لو كانت عن السبعة أو من هو أكبر منهم(٣).

يقول ابن الجزري:

فَكُـــلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ وَكَـــــانَ للرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنادًا هُوَ الْقُرآنُ فَهَـذِهِ الثَّـلَاثَـــةُ الأَرْكَـــانُ

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن لعبدالعظيم الزُّرْقاني: ٤١٢/١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
(٢) جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ٥١/١، جامعة الشارقة- الإمارات، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، وينظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنُّوَيْري: ١١٥/١، تح/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٩/١، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ شُـــذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ(١)

ويوضح ابن الجزري ما استوفىٰ هذه الشروط من القراءات بقوله: "والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس علىٰ تلقيها بالقبول وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، أخذها الخلفُ عن السلفِ إلىٰ أن وصلتْ إلىٰ زماننا"(٢).

وبناءً علىٰ ما سبق: فإن القراءة الشاذة هي التي فقدتْ ركنًا أو أكثرَ من هذه الأركان المثبتة عند الأئمة المعتمدين، وعليه فلا يجوز القراءةُ بها في الصلاة، بيد أنه يجوز تعلمُها وتعليمُها، مع تدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنىٰ، كما يستنبط منها الأحكام الشرعية(٣).

ووجه جواز الاحتجاج بها في اللغة –كما رأىٰ ابن جني– أنها "وإن قَصُر شيءٌ منها عن بلوغه إلىٰ رسول الله (ﷺ) فلن يقصُرَ عن وجهٍ من الإعراب داعٍ إلىٰ الفُسحة والإسهاب، إلا أننا وإن لم نقرأْ في التلاوة به مخافةَ الانتشار فيه، ونتابع مَن يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإنا نعتقد قوةَ هذا المُسمَّىٰ شاذًّا، وأنه مما أمر اللهُ تعالىٰ بتقبُّله، وأراد منا العملَ بموجبه، وأنه حبيبٌ إليه، ومرضيٌّ من القول لديه"(٤)، فرواتُها عربٌ فصحاء، سليمةٌ سلائقهم، تُبنىٰ علىٰ أقوالهم قواعد العربية، وإن لم تَرْقَ –بالطبع– إلىٰ درجة المتواتر.

نحاولُ –إذن– من خلال الشروط التي وضعَها العلماءُ لمعرفة القراءة الصحيحة بيانَ منزلةِ قراءة أبي الجوزاء ووضْعَهَا منها:

أولًا: (صحة السند):

سبق الحديثُ عن شيوخ أبي الجوزاء الذين تتلمذَ عليهم وأخذَ عنهم، وهم أئمةُ الطبقة الأولىٰ الذين تلقَّوْا من فم الرسول (ﷺ) مباشرةً، ولذا عدَّه علماءُ الطبقات من أئمة الطبقة الثانية، فهو –إذن– من أجلاء التابعين الذين أخذوا عن أجلاء الصحابة، ومنهم أم المؤمنين عائشة، وحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس، وعبدالله بن عمرو، وأبي هريرة (رضي الله عنهم).

كما يزيد قراءته توثيقًا ورودها مقرونة مع غيره من القراء الأثبات في كثير من المصادر: كمعاني القرآن للفراء، وتفسير الطبري، ومعاني القرآن للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس، ومعاني القراءات للأزهري، وجامع البيان في القراءات السبع للداني، وتفسير البغوي، والمحرر الوجيز لابن عطية، وزاد

---

(١) مَتْنُ طَيِّبَةِ النَّشْرِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ لابن الجزري: ٣٢، تح: محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

(٢) منجد المقرئين: ١٨.

(٣) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبدالفتاح القاضي: ١٠، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٨١م.

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني: ٣٣/١، وزارة الأوقاف– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

المسير، وتفسير القرطبي، والبحر المحيط، والدر المصون، وسيأتي بيان ذلك موضحًا عند توثيق قراءاته في البحث.

وإذا أنعمنا النظر في قراءة أبي الجوزاء فإننا سنجد شطرًا منها يوافق المتواتر، وقُرئ بها في السبعة، أو العشرة.

يتضح من خلال ذلك تحقق صحة السند في قراءة أبي الجوزاء، لأخذه إياها عن أئمة الصحابة وكبارهم، مع بيان صدقه وثقته وعدم كذبه بشهادة علماء الجرح والتعديل، وإنما عُدَّتْ قراءتُه بين الشواذ لعدم وصولها إلىٰ حد التواتر والشهرة، وهو شرط في القراءة المقبولة؛ مع انقطاع سندها فيما بعد، وفقدان من يحملها ويؤديها.

ثانيًا: موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا:

علم الرسم: هو العلم الذي يبحث في معرفة خط المصاحف العثمانية وطريقة كتابتها والقواعد المُتَّبعة فيها خلافًا للرسم القياسي الإملائي، وقد اتفق أئمةُ الإقراء علىٰ لزوم مرسوم المصاحف فيما تدعو الحاجةُ إليه اختيارًا واضطرارًا، فيُوقف علىٰ الكلمة الموقوف عليها علىٰ وفق رسمها في الهجاء وذلك باعتبار الأواخر(١).

وإذا أنعمنا النظر في قراءة أبي الجوزاء فإننا سنجد الشرط متحققا في معظمها، فأكثرها يتفق مع رسم المصحف، ولم تخرجْ عن سواد المصحف العثماني إلا في أربعة أحرف فقط، هي:

الأول: قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء: ١١٧]

قرأ الجمهور: ﴿إِنَٰثًا ﴾ وقرأ أبو الجوزاء: (إِلا وَثَنًا): بفتح الواو، والثاء من غير ألف.

الثاني: قول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]

قرأ الجمهور: ﴿فِرْقٍ ﴾ بالراء، وقرأ أبو الجوزاء: (فِلْقٍ) باللام.

الثالث: قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾[الأحزاب: ١٩].

قرأ الجمهور: ﴿سَلَقُوكُم ﴾ بالسين، وقرأها بالصاد أبو الجوزاء.

الرابع: قول الله تعالىٰ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٣١]

قراءة الجمهور بنصب الظالمين، وقرأ أبو الجوزاء: (والظالمون) رفعًا.

ثالثًا: موافقة العربية ولو بوجه:

اشترط العلماءُ للقراءة الصحيحة موافقتَها لغةَ العرب، ولذا أجاز العلماءُ تعلمها وتعليمها، مع بيان وجهها لغةً وإعرابًا ومعنًىٰ، كما يُستدلُّ بها علىٰ وجهٍ من وجوه العربية، بل لـ "قد أطبق الناسُ علىٰ

---

(١) مقدمات في علم القراءات لمحمد أحمد مفلح القضاة وآخرين: ١٩١، دار عمار- عمَّان (الأردن)، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١ م.

الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالفْ قياسًا معلومًا بل ولو خالفتْه يُحتجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجُزِ القياسُ عليه.... وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة"(١).

وبالنظر في قراءة أبي الجوزاء نجد أن قراءاته كلَّها لها وجهٌ في العربية، ولم تخرجْ واحدةٌ منها عن مقياس العربية.

والذي نطمئنُّ إليه من خلال ما سبق: أن قراءةَ أبي الجوزاء من القراءات الشاذة التي لا يُقرأُ بها علىٰ أنها قرآن، ولكن تبقىٰ لها منزلتُها اللغوية، فهي وغيرها من القراءات الشاذة أقوىٰ من كثير مما يحتج به من الكلام العربي، وعليه تقوم هذه الدراسة التي تتناولها من الجانبين: الصوتيِّ، والدلاليِّ.

(١) الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي: ٦٨، تح/ د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

الفصلُ الثَّاني

قراءةُ أبي الجوزاء صوتيًّا

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الإتباع في الحركات.

المبحث الثاني: التعاقب بين الصوامت.

المبحث الثالث: التعاقب بين الصوائت.

المبحث الرابع: الهمز والتسهيل.

المبحث الخامس: الإدغام أو المماثلة.

المبحث السادس: الحذف.

المبحث الأول: الإتباع في الحركات.

الإتباع: أن تَتْبعَ الحركةُ أو السكونُ حركةً أخرىٰ سابقةً أو لاحقةً، فتُغَيَّرُ عما حقُّها أن تكون عليه لتُماثل الحركةَ المتبوعةَ(١).

وهو عبارة عن تطور في حركات الكلمات التي تشتمل علىٰ حركات متباينة، حيث تميل اللغة إلىٰ الانسجام بين هذه الحركات لئلا ينتقل اللسان من ضم إلىٰ كسر أو العكس، وهو -بهذا- ظاهرة من ظواهر الانسجام الصوتي.

وهذه الظاهرة عامة في جميع اللغات(٢)، اصطلح المحدثون علىٰ تسميتها بـ (التوافق الحركي) أو (الانسجام الحركي)(٣)، ومن قبلهم فطن إليها علماء اللغة القدامىٰ، وكان من السابقين إلىٰ إبرازها والإشارة إليها إمام العربية سيبويه، ومن تلك الإشارات قوله: "وفي فعيلٍ لغتان: فَعيلٌ وفِعيلٌ إذا كان الثاني من الحروف الستة [يعني حرف الحلق]، مطردٌ ذلك فيهما لا ينكسر في فَعِيل ولا فَعِل، إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لِئِيمٌ وشِهِيدٌ، وسعيدٌ ونحيفٌ، ورغيفٌ، وبخيلٌ وبئيسٌ، وشهد، ولعب، وضحك، ونغل، ووخم"(٤).

كما كانت إشارة عبقري اللغويين عابرةً حينما سَمَّىٰ هذه الظاهرة بالتقريب، وذلك في باب وسمه بـ (الإدغام الأصغر) قال فيه: "ومن التقريب قولهم: الحمُدُ لُلَّهْ والحمِدِ لِلَّه"(٥).

وبالتأمل في كتب اللغة التي نَقلتْ إلينا هذه الظاهرة ونَسَبَتْها إلىٰ قبائلها من العرب، يتبين أن القبائلَ البدويةَ لا سيما تميم وربيعة وقيس وأسد، أَمْيلُ إلىٰ هذا الانسجام من القبائل الحضرية(٦).

مما يجعلنا نميلُ إلىٰ القول بأن الهدف من هذه الظاهرة هو الميل إلىٰ الخفة والسهولة في النطق، مع الاقتصاد في الجهد العضلي، وذلك لأن عمل اللسان من وجه واحد بإتباع الحركات بعضها بعضًا أخفُّ بكثيرٍ من التنويع بينها.

---

(١) إتباع الحركة في القراءات د. محمد أحمد خاطر: ص ٥، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ١٧٨، الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٤م.

(٣) ينظر: علم اللغة العربية د. محمود فهمي حجازي: ٢٢٨، وفي اللهجات العربية د. أنيس: ٨٦، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٩، ١٩٩٥م.

(٤) الكتاب لسيبويه: ١٠٧/٤، ١٠٨، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

(٥) الخصائص لابن جني: ١٤٦/٢، تح/ د. محمد علي النجار، الدار العلمية (د ت).

(٦) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٠٧، ١٩٦/٤، واللسان (م خ ض): ٢٢٨/٧، وفي اللهجات العربية د. أنيس: ٨٦.

ولعل في ميل الناطقين بالعامية المصرية إلىٰ كسر أوائل الكلمات كقولهم: (رِغِيف، وسِمِين، وتِخِين، وكِبير، وطِويل، وبِعِيد) لونًا من المحاكاة لهذا الانسجام الحركي، مع الاقتصاد في الجهد العضلي.

ومما جاء من إتباع الحركات في قراءة أبي الجوزاء:

أولًا: الإتباع الكلي في الحركات:

١- الإتباع فيما جاء على وزن (فُعْل):

قول الله (ﷻ): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٧]

قرأ أبو عمرو، وابنُ كثير، ونافعٌ: (نُشُرًا).

وقرأ عاصم بالباء ﴿بُشۡرَۢا﴾[(١)].

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابنُ أبي عبلة: بضم الباء والشين: (بُشُرًا)، وهذا علىٰ أنها جمع بشيرة(٢).

وقراءة أبي الجوزاء موافقة إحدىٰ روايتي عاصم بن أبي النجود، فإنه كان يقرأ: (بُشرًا) علىٰ اختلافٍ عنه فيه: فروىٰ ذلك بعضهم عنه: ﴿بُشۡرَۢا﴾ بالباء وضمها، وسكون الشين، وهذا في المتواتر، وبعضهم بالباء وضمها وضم الشين، وهو في الشاذ(٣).

وكان عاصمٌ يتأوَّل في قراءته قولَ الله ﷻ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ [سورة الروم: ٤٦]، تبشر بالمطر، وأنه جَمْعُ (بَشِير) يُبَشِّر بالمطر جمع (بُشُرًا)، كما يجمع (النذير) (نُذُرًا)(٤).

وذهب النحاس إلىٰ أن ﴿بُشۡرَۢا﴾ -بالتسكين- جمع بشير، وهي مخففة من المضمومة، وقد تكون جمع بُشْرة، وقد يكون مصدرا مثل العُمْر، وتقرا بُشْرًا وبُشُرًا(٥)

---

(١) ينظر: السبعة لابن مجاهد: ٢٨٣، تح/ شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف- مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ، ومعاني القراءات للأزهري: ٤٠٩/١، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ١٣٠/٢، تح/ عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، والنشر لابن الجزري: ٢٦٩/٢، ٢٧٠.

(٢) ينظر في قراءة أبي الجوزاء: زاد المسير: ١٣٠/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) لابن جرير الطبري: ٤٩٠/١٢، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، وجامع البيان في القراءات السبع للداني: ١٠٩٢/٣، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للبغوي: ١٩٩/٢، تح/ عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي: ٤١٢/٢، تح/ عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، يقول الفراء: "حَدَّثَنِي قَيْس عَن أبي إسحاق عَن أبي عبدالرحمن: أَنَّهُ [يعني: عاصمًا] قرأ (بُشُرًا) كأنه بشيرة وبُشُر" ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٩/٢، تح/ محمد علي النجار وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، ط١.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٠/١٢.

(٥) معاني القرآن للنحاس: ٤٤/٣، تح/ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب:

وَأَصْلُ الشِّينِ الضَّمُّ –كما أكد القرطبي– لَكِنْ سُكِّنَتْ تَخْفِيفًا كَرُسُلٍ وَرُسْلٍ(١)، فالمعروفُ أن (فُعُل) بضم الفاء والعين من أبنية جموع الكثرة، وتسكينُ عينه في غير المضعف جائز، وقد يكونُ واجبًا إذا كانت عينُه واوًا لاستثقال الضمة علىٰ الواو، فيقال في جمع سُوار ونُوار: سُوْر ونُوْر(٢).

وعليه، فإن قراءة أبي الجوزاء بضم العين والفاء هي الأصل في البناء، وقد جاءت موافقة للغة الحجاز، أما السكون فهو فرع عن الضم في هذا البناء، الذي وافق نهج بني تميم لإيثارهم له، حيث عدلوا عن الضم في (فُعُل) إلىٰ السكون فصار (فُعْل)، وهو ما أكده ابن جني بقوله: "أما (نُشْرًا) فتخفيف (نُشُرًا) في قراءة العامة، والنُّشُر جمع نَشُور؛ لأنها تَنْشُر السحاب وتستدرُّه، والتثقيل أفصح لأنه لغة الحجازيين، والتخفيف في نحو ذلك لتميم"(٣).

ويلاحظ أن المماثلة هنا تقدمية حيث تأثر الصوت الثاني بالأول؛ بهدف تحقيق الانسجام الصوتي بين الحركات المتتالية في الكلمة الواحدة، ولذلك ناسب الحجازيين الذين يؤثرون التماثل بين الحركات مع الانسجام بينها، بعكس التميميين الذين يميلون إلىٰ التسكين في مثل ذلك.

وهذا الإتباع أو المماثلة التقدمية في قراءة أبي الجوزاء ربما يكون سببه العامل النفسي العضوي المتمثل في الجمود علىٰ الحركة السابقة والتزامها فيما بعدها(٤)، وهو يحقق –بلا شك– لونًا من الانسجام بين الأصوات المتماثلة، ونوعًا من التخفيف "يتمثل في استمرار مواضع أداء الحركة في الفم علىٰ هيئة واحدة في الصوتين، وتجنب الانتقال من هيئة إلىٰ أخرىٰ"(٥).

٢-الإتباع فيما جاء على وزن (مُفْعِل):

قول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

٢٤٠٩/٤، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ٢٢٩/٧، تح/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ٣٨٥/٣، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: ٤٣٩/٣، تح/ د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ/ محمد عبدالخالق عضيمة: ٦٦١/٧، تصدير: محمود محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة: والتبيان في تصريف الأسماء د. كحيل: ١٤٦، مطبعة السعادة، ط٦، ١٩٧٨م، وقراءة أبي عبدالرحمن السلمي دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبدالتواب الأكرت: ٢٩، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣) المحتسب: ٢٥٥/١.

(٤) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي د. عبدالصبور شاهين: ٢٣١– ٢٣٩، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م.

(٥) خصائص اللغة العربية د. جبل: ١٢٤، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م، وينظر: قراءة يحيى بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي د. أحمد طه سلطان: ٥٠، مكتبة وهبة ط١، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف: ﴿مُرۡدِفِينَ﴾ بكسر الدال(١).

قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء: هم المتتابعون.

وقال الطبري: معنىٰ ذلك إذا قرئ بالكسر: أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضًا، علىٰ لغة من قال: أردفته، وقالوا: العرب تقول: أردفته ورَدِفته، بمعنىٰ تبعته وأتبعته(٢)، وقال الزجاج: يقال: رَدِفت الرجلَ إذا ركبْت خَلْفَهُ، وَأَرْدَفته إذا أَرْكَبْته خلفي، ويقال: هذه دابة لا ترادِف، ولا يقال لا تُرْدَفُ، ويقال أردَفْتُ الرجُلَ إذا جئتُ بعده، فمعنىٰ (مُرْدِفِين) يأتون فرقة بعد فِرْقة(٣).

وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: (مُرْدَفين) بفتح الدال(٤).

قال الفراء: أراد: فُعِلَ ذلك بهم، أي: إن الله أردف المسلمين بهم(٥).

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: (مُرُدِفين) برفع الراء وكسر الدال(٦).

والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر كما قال الزجاج، والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضمة الميم(٧).

والمماثلة هنا تقدمية حيث تأثر الصوت الثاني بالأول؛ بهدف تحقيق الانسجام الصوتي بين الحركات المتتالية في الكلمة الواحدة.

ولعل في قراءة أبي الجوزاء لونًا من مناسبة الألفاظ للمعاني، فالرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ اتِّبَاعِ الشَّيْءِ(٨)، والترادف في اللغة هو تتابعُ شيءٍ خَلْفَ شيءٍ(٩)، وَأَرْدَفْتُهُ إِيَّاهُ إِذَا أَتْبَعْتَهُ، ومعنىٰ اللفظ بكسر الدال أو فتحها يَعْنِيْ أَنَّ الملائكة مُتْبِعَونَ يعْنِيْ: يتبع بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَوْ: مُتْبِعَونَ الْمُؤْمنينَ أَيْ: يَتَقَدَّمُونَهُمْ فَيَتْبَعُونَهُمْ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ مُتْبِعَونَ لَهُمْ يُشَيِّعُونهُمْ وَيُقَدِّمُونَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ

---

(١) السبعة: ٣٠٤، ومعاني القراءات للأزهري: ٤٣٦/١، والنشر: ٢٧٥/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٤/١٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٠٢/٢، تح/ عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، وينظر: زاد المسير: ١٩٢/٢.

(٤) السبعة: ٣٠٤، ومعاني القراءات للأزهري: ٤٣٦/١، والنشر لابن الجزري: ٢٧٥/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٤٠٤/١، وينظر: زاد المسير: ١٩٢/٢.

(٦) زاد المسير: ١٩٢/٢.

(٧) معاني القرآن للزجاج: ٤٠٣/٢، وتفسير الكشاف للزمخشري: ٢٠١/٢، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، وزاد المسير: ١٩٢/٢، وتفسير القرطبي: ٣٧١/٧.

(٨) مقاييس اللغة (ر د ف): ٥٠٣/٢.

(٩) العين للخليل بن أحمد (ر د ف): ٢٢/٨، تح/ د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ومجمل اللغة لابن فارس (ر د ف): ٤٢٧/١، تح/ زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، واللسان (ر د ف): ١١٤/٩.

عَلَىٰ سَاقَتِهِمْ لِيَكُونُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ وَحِفْظِهِمْ، أَوْ بِمَعْنَىٰ: مُتْبِعَونَ أَنْفُسَهُمْ مَلَائِكَةً آخَرِينَ، أَوْ مُتْبِعَونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ(١).

فإذا كان التتابعُ يحيط بالكلمة من جميع جوانبها فإن قراءةَ أبي الجوزاء -بضم الراء إتباعًا لضمة الميم- تمثلُ هذا الإتباعَ لفظيًّا، لتحصل المناسبةُ بين اللفظ والمعنىٰ.

المبحث الثاني: تعاقب الصوامت :

للأصوات طبيعةٌ خاصةٌ في طريقة النطق بها، ومحطُّ التفرقة بينها في هذه الطبيعة هو النظر إلىٰ أوضاع الأوتار الصوتية، وطريقة مرور الهواء من الحلق أو الأنف أو الفم، مع مراعاة أوضاع الشفتين، والأشكال المختلفة لها حال النطق بالأصوات(٢).

وعلىٰ أساس هذه الأوضاع تُقسَّمُ الأصواتُ اللغويةُ قسمين رئيسين:

الأول: ما يطلق عليه اللغويون الأصوات الساكنة أو الصامتة.

والثاني: ما اصطلحوا علىٰ تسميته بالأصوات الصائتة أو الحركات(٣).

والأصوات الصائتة تتفق في أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر واسع ليس فيه حوائل تعترضه، فمجرىٰ الهواء في الحلق والفم خال من الحوائل والموانع.

أما الأصوات الصامتة فتتحقق بانحباس الهواء معها انحباسًا محكمًا، فلا يُسمح له بالمرور لحظة من الزمن، يتبع ذلك بالصوت الانفجاري، أو يضيق مجرىٰ الهواء فيحدث النفس نوعًا من الصفير أو الحفيف(٤).

وهذه الأصواتُ الصامتةُ تتعاقبُ فيما بينها، بأسسٍ خاصةٍ، ومعاييرَ معلومةٍ، فتوجد -أحيانًا- صلاتٌ واضحةٌ بين الصوتين المتبادلين، وأحيانًا أخرىٰ لا توجد أية علاقة بين هذين الصوتين، ومما جاء من هذا التعاقب في قراءة أبي الجوزاء ما يلي:

١- قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]

قرأ الجمهور: ﴿فِرْقٍ﴾ بالراء، وقرأ أبو الجوزاء وأبو المتوكل وعاصم الجحدري: (فِلْقٍ) باللام(٥).

---

(١) الكشاف: ٢٠١/٢، والبحر المحيط: ٢٧٩/٥، ٢٨٠.

(٢) ينظر: اللغة لفندريس: ٤٧، تعريب الأستاذين: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ط لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ=١٩٥٠م، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٢٦.

(٣) السابق الثاني، وينظر: علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر: ٩١، دار المعارف مصر ١٩٧١م.

(٤) الأصوات اللغوية، د. أنيس: ٢٦.

(٥) زاد المسير: ٣٤٠/٣.

وجمهرةُ اللغويين علىٰ أنَّ معنىٰ اللفظين واحدٌ باللام والراء(١)، وأنَّ ثمة تبادلًا بين الحرفين لتقاربهما(٢)، فبين اللام والراء تجاورٌ في المخرج، يقول الخليلُ: "ثم الراءُ واللامُ والنونُ في حيِّزٍ واحدٍ"(٣)، واللامُ صوتٌ مجهورٌ متوسطٌ مستفلٌ منفتحٌ ذلقٌ جانبيٌّ(٤)، والراءُ صوتٌ مجهورٌ متوسطٌ مستفلٌ منفتحٌ ذلقٌ مكررٌ(٥).

فالراء -إذن- مجاورةٌ للَّام في المخرج، وتجمع بينهما غالبُ الصفات(٦)، ولذا كثر الإبدالُ بينهما فـ "يَرَمْرَمُ: جَبَلٌ، وَرُبَّمَا قَالُوا: يَلَمْلَمُ"(٧)، وسَمَرَ عينَه: كَسَمَلَها(٨)، ويقال: هَدَلَ الحمامُ، وهَدَرَ(٩).

بينما فرَّق الراغبُ الأصفهاني بين اللفظين: فالفَلْق يغلب استعماله في الماديات، فلا يكون إلا بين جسمين، أما الفَرْق: فقد يكون في الأجسام والمعاني(١٠).

وفي موضع آخر قال بالتقارب بينهما ثم بيَّن أن الفلق يقال اعتبارًا بالانشقاق والتصدع، أما الفرق فيقال اعتبارا بالانفصال. قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [البقرة:٥٠] فالفِرْقُ: القطعة المنفصلة، ومنه: الفِرْقَةُ للجماعة المتفرّدة من النّاس(١١).

وفيه مناسبة بين الألفاظ ومعانيها: فالراء لقوتها تستعمل في الانفصال التام بين الشيئين، أما اللام فلأنها أضعف من الراء فهي مستعملة في الانشقاق والتصدع فقط.

٢- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾[الأحزاب: ١٩].

---

(١) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب= التفسير الكبير): ٥٠٧/٢٤، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، والبحر المحيط: ١٦١/٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي: ١٨٩/٤، تح/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

(٢) البحر المحيط: ١٦١/٨.

(٣) العين: ٥٨/١.

(٤) مقدمة في علم أصوات العربية د. البركاوي: ١٠٦- ١١٢، ط٣، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م، وعلم الأصوات د. كمال بشر: ٣٤٧.

(٥) السابق الأول نفسه، وعلم الأصوات د. كمال بشر: ٣٤٥ وما بعدها.

(٦) ينظر: الكتاب لسيبويه: ٤٣٣/٤، وعلم الصوتيات د. عبدالله ربيع ود. عبدالعزيز علام: ٢٧٣، مكتبة الرشد، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، والمدخل إلى علم أصوات العربية د. غانم قدوري الحمد: ٨٤، منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ.

(٧) الصحاح (ر م م): ١٩٣٨/٥، وينظر اللسان (ر م م): ٢٥٤/١٢.

(٨) اللسان (س م ر): ٣٧٨/٤، وسَمْلُ العينِ: فَقْؤُها. يقال: سُمِلَتْ عينُه تُسْمَلُ، إذا فُقِئَتْ بحديدةٍ مُحْماةٍ، ينظر: الصحاح (س م ل): ١٧٣٢/٥.

(٩) اللسان (هـ د ل): ٦٩١/١١، و(هـ د ر): ٢٥٨/٥.

(١٠) تفسير الراغب الأصفهاني: ١٨٧/١، تح/ د. محمد عبدالعزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١: ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

(١١) المفردات في غريب القرآن للأصفهانى: ٦٣٢/١.

قرأ الجمهور: ﴿سَلَقُوكُم﴾ بالسين، وهو الاختيار اتباعًا للمصحف كما ذهب الهذلي، وقرأها بالصاد أُبيُّ بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة(١).

"الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ صَيْحَةٍ بِقُوَّةٍ وَصَدْمَةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَالصَّلْقُ: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، وَالصَّلَّاقُ وَالْمِصْلَاقُ: الشَّدِيدُ الصَّوْتِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ (ﷺ): (لَعَنَ اللهُ الصالقةَ والحالقةَ والشاقةَ)، يُرِيدُ: شِدَّةَ الصِّيَاحِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ تَنْزِلُ"(٢)

يقول أبو عبيد: "والصَّلْق بالصَّاد: هُوَ الصَّوْت الشَّديد وَقَالَ غَيره: بِالسِّين..... وَيُقَال للخطيب: سَلاَّق ومِسلاق وَهُوَ من شدَّة الْكَلَام وكثرته(٣).

وحكىٰ الفراء عن العربُ قولهم: صَلقُوكم، ثم قال: ولا يَجوز فِي القراءة لِمخالفتها خط المصحف(٤).

والتبادلُ بين السين والصاد له ما يسوغه صوتيا، فكلاهما أسنانيٌّ لثويٌّ صفيريٌّ، ولا يفرق بينهما سوىٰ إطباق الصاد واستعلاؤها(٥)، والأصوات المتقاربة قد تتبادل في اللهجات، لذلك وجدناه كثيرًا في لغة العرب، يقول الخليل: "وصَبَغَتِ الناقة لغة في سَبَغَتْ، يعني: جاءَتْ بَولَدِها تامًّا"(٦).

وعند قُطْرب أنَّ قومًا من بني تميم يقال لهم بَلْعَنْبَر "يقلبون السين صادًا عند أربعة أحرف: عند الطاء، والقاف، والغين، والخاء إذا كُنَّ بعد السين، ولا تبالي أثانيةً أم ثالثةً أو رابعةً بعد أن تكون بعدها، يقولون: سراط وصراط، وبَسْطة وبَصْطة، وسَيْقل وصَيْقل، وسرقت وصرقت، ومَسْغبة ومَصْغبة،

---

(١) زاد المسير: ٤٥٥/٣، وينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها للهُذَلي: ٦١٩، تح/ جمال الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، والمحرر الوجيز: ٣٧٦/٤، والبحر المحيط: ٤٦٤/٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٠٦/٣، وتفسير القرطبي : ١٥٣/١٤، ١٥٤، والحديث في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري (ﷺ): "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ" ينظر: صحيح البخاري: ٨١/٢، وصحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: ١٠٠/١، تح/ محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم: ٩٧/١، تح/ د. محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م، وينظر: تفسير القرطبي : ١٥٣/١٤، ١٥٤.

(٤) معاني القرآن للفراء: ٣٣٩/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ٢١١/٣، تح/ عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، وزاد المسير: ٤٥٥/٣.

(٥) ينظر: علم الصوتيات د. عبدالله ربيع، ود. عبدالعزيز علام: ٢٢٧.

(٦) العين (ص ب غ): ٤ / ٣٧٤، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ص ب غ): ٥/ ٤٢٦، تح/ د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

ومِسْدغة ومِصْدغة، وسَخَّر لكم وصَخَّر لكم، والسَّخَب والصَّخَب"(١)، كما نسبها أبو حيان إلىٰ بني كلب(٢).

أما علة قلب السين صادًا مع هذه الأحرف الأربعة (الطاء، والقاف، والغين، والخاء) فسببه أنَّ السِّينَ مستفلةٌ، والصَّادَ مُسْتَعْلِيةٌ، والمقصودُ بكونِها مستفلةً أي: ينزِلُ اللِّسانُ بها إلىٰ قاعِ الفَمِ ، والصَّاد مُستعلية أي: يرتفعُ فيها اللِّسانُ إلىٰ الحنكِ الأعلَىٰ، فيتنافرانِ، فكانَ إخراجُ الصَّادِ أسهلَ علَىٰ اللِّسانِ عَقِيبَ هذه الأحرف من السِّينِ عَقِبَها، يقول الفراء: "ونفرٌ من بلعنبر يُصَيِّرون السين -إذا كانت مقدَّمة ثم جاءت بعدها طاءٌ أو قافٌ أو غينٌ أو خاءٌ- صادًا، وذلك أن الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت، فقُلبت السين صادًا صُورتها صورة الطاء، واستخفُّوها ليكون المخرج واحدًا، كما استخَفُّوا الإدغام، فمن ذلك قولهم: السِّراط والصِّراط، قال: وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب، قال: وعامة العرب تجعلها سينًا"(٣).

المبحث الثالث: تعاقب الحركات:

تختلفُ اللهجاتُ فيما بينها اختلافًا بيِّنًا في نطق الأصوات، فتُؤْثِر بعضُ القبائل أصواتًا معينةً، بما يناسب مكانَها في الجزيرة العربية، وطبيعتَها في الميل إلىٰ السرعة أو التأني في النطق، بينما تلجأ قبائلُ أخرىٰ لأصوات مغايرة حسب طبيعتهم أيضًا، فالفتحة -لأنها أخف في النطق، وأكثر اقتصادًا في الجهد من الكسرة والضمة- نجدها من خصائص قبائل الحجاز، علىٰ حين تميلُ القبائلُ البدويةُ للكسرة أو الضمة علىٰ قدر توغلهم في البداوة.

وليس معنىٰ ذلك أن تلتزم اللهجةُ طريقةً معينة في النطق، فهذا محالٌ، فاللهجاتُ لا يمكن أن ينتظمها قانونٌ عام شامل، وإنما تسير وفق ناموس الحياة، وما تتطلبه حياة المجتمعات البشرية التي اتخذت من هذه اللغات أداة للتعبير.

وقد حكت القراءاتُ الواردةُ عند أبي الجوزاء لونًا من هذا الاختلاف والتبادل في الصوائت، ومن ذلك:

أولًا: تعاقب الحركات في الأسماء

١- التعاقب بين الفتح والضم:

قول الله (ﷻ): ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

---

(١) الصحاح (ص د غ): ٤/ ١٣٢٣، وينظر في نسبة اللغة لبني العنبر: المحكم (س ل غ): ٤٣٤/٥، والبحر المحيط: ٥٣١/٩، وتاج العروس (ص د غ): ٢٢/ ٥٢٥.

(٢) البحر المحيط: ٤١٨/٨.

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (س ر ط): ١٢/ ٣٣٠، تح/ عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، وينظر: لسان العرب (س ر ط): ٣/ ١٩٩٣.

قرأ أبو الجوزاء وابن عباس وابن أبي إسحاق وسليمان التيمي وأبو جعفر وشيبة ونافع وأبو مخرمة وأبو عمرو وأيوب: غَرْفَةً بفتح الغين.

وقرأ الباقون بضمّها(١).

ذهب الكسائي وأبو عبيدة إلىٰ التفريق بين المفتوح والمضموم:

فالغُرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غُرف.

والغَرفة: الاغتراف، فالضم اسمٌ والفتح مصدرٌ.

وقال أبو حاتم: الغُرفة بالضم ملء الكف أو ملء المغرفة، والغَرفة: المرّة الواحدة من القليل والكثير(٢)، وتبعهم الزجاج(٣).

ووضح الفخرُ الرازي الفرقَ قائلًا: "الْغُرْفَةُ بِالضَّمِّ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ الَّذِي يَحْصُلُ فِي الْكَفِّ، وَالْغَرْفَةُ بِالْفَتْحِ الْفِعْلُ، وَهُوَ الِاغْتِرَافُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَمِثْلُهُ الْأُكْلَةُ وَالْأَكْلَةُ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَأْكُلُ فِي النَّهَارِ أَكْلَةً وَاحِدَةً، وَمَا أَكَلْتُ عِنْدَهُمْ إِلَّا أُكْلَةً بِالضَّمِّ أَيْ شَيْئًا قَلِيلًا كَاللُّقْمَةِ، وَيُقَالُ: الْحُزَّةُ مِنَ اللَّحْمِ بِالضَّمِّ لِلْقِطْعَةِ الْيَسِيرَةِ مِنْهُ، وَحَزَزْتُ اللَّحْمَ حَزَّةً أَيْ قَطَعْتُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَنَحْوُهُ: الْخُطْوَةُ وَالْخَطْوَةُ بِالضَّمِّ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ، وَالْخَطْوَةِ أَنْ يَخْطُوَ مَرَّةً وَاحِدَةً"(٤).

بينما مال بعضُ اللغويين إلىٰ أنَّ الوجهيْن لغتان عن العرب(٥).

وجديرٌ بالذكر ما نقله أبو حيان من ترجيح أبي علي الفارسي والطبري ضَمَّ الْغَيْنِ؛ لأن (الغُرفة) بالضم هي ملء الشيء يقع للقليل والكثير، و(الغَرفة) بالفتح المرة الواحدة، وسياق الكلام يدلُّ علىٰ القليل فالفتح أشبه، ثم قال تعليقًا: وَهَذَا التَّرْجِيحُ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْمُفَسِّرُونَ وَالنَّحْوِيُّونَ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ لَا يَنْبَغِي؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ وَمَرْوِيَّةٌ ثَابِتَةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، وَلِكُلٍّ مِنْهَا وَجْهٌ ظَاهِرٌ حَسَنٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يُمْكِنُ فِيهَا تَرْجِيحُ قِرَاءَةٍ عَلَىٰ قِرَاءَةٍ(٦).

٢- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾[النساء: ١٦٣]

وقراءة الجمهور: ﴿وَيُونُسَ﴾ بضم النون من غير همز.

وقرأ ابنُ مسعود، وقتادةُ، ويحيىٰ بنُ يعمر، وطلحةُ: (يؤنِس) بكسر النون مهموزا. وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران والجحدري: يُونَس بفتح النون من غير همز.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٢/٥، وتفسير البغوي: ٣٣٦/١، والمحرر ٣٣٥/١، وزاد المسير: ٢١٦/٢، وتفسير الرازي: ٥١٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٣/٣، والبحر المحيط: ٥٨٨/٢.

(٢) زاد المسير: ٢١٦/٢، وينظر: تفسير الطبري: ٣٤٢/٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٣١/١، وينظر: حجة القراءات:١٤٠.

(٤) تفسير الرازي: ٥١٠/٦.

(٥) ينظر: تفسير البغوي: ٣٣٦/١، وتفسير القرطبي: ٢٥٣/٣.

(٦) البحر المحيط: ٥٨٨/٢، وينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٢٣/١، والمحرر الوجيز: ٣٣٥/١.

وقرأ أبو المتوكل: (يؤنس) بفتح النون مهموزًا.

وقرأ أبو السّمال العدوي: (يونِس) بكسر النون من غير همز.

وقرأ عمرو بن دينار برفع النون مهموزًا(١).

ويونس هو نبيُّ الله (عليه السلام)، وهو اسمُ علمٍ أَعجميٌّ ممتنعٌ من الصَّرْف، وقيل: مُشْتَقٌّ وَزْنُه يُفْعِل من آنَس يُؤْنِسُ إِيناسًا بمعنىٰ أَبْصَر، قال الله تعالىٰ: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، وقيل: من الأُنْس ضد الوحشة، سُمِّي به لأُنْسه بطاعةِ الله (عز وجل)، أَو لأَنَّه أَبصر رُشْدَه فىٰ العبادة (٢).

وفي (يونس) لغاتٌ تصل إلىٰ الست:

- أفصحُها: واوٌ خالصةٌ ونون مضمومة، وهي لغةُ الحجاز[٣].
- وحُكِي كسرُ النونِ بعد الواو، وبها قَرَأَ نَافِعٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَمَّازٍ عَنْهُ، وَهِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ[٤]، وحكىٰ الزجاج اللغتين بالكسر والضم[٥].
- وحُكِي أيضًا فتحُها مع الواو، وبها قرأ النخعي وابن وثاب –وهي قراءة أبي الجوزاء– وهي لغة لبعض عقيل[٦].
- وهاتان القراءتان –كما أكَّد السمين الحلبي– جَعَلَهما بعضهم منقولتين من الفعلِ المبني للفاعل أو للمفعول، جَعَل هذا الاسمَ مشتقًّا من الأنس، وإنما أُبدلت الهمزةُ واواً لسكونِها وانضمام ما قبلها، ويدلُّ علىٰ ذلك مجيئُه بالهمزةِ علىٰ الأصل في بعض اللغات[٧]، وأكده الْمَهْدَوِيُّ بقوله: "وَكَأَنَّ (يُونِسُ) فِي الْأَصْلِ فِعْلٌ مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ، وَ(يُونَسُ) فِعْلٌ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، فَسُمِّيَ بِهِمَا"[٨].

كما نصَّ أصحابُ المعاجم علىٰ اللغات الثلاث في الكلمة[٩].

- وحكىٰ أبو زيد الأنصاري تثليثَ النون مع همز الواو، كأنهم قلبوا الواوَ همزةً لانضمامِ ما قبلها[١٠].

---

(١) ينظر: زاد المسير: ٤٩٩/١، والبحر المحيط: ١٣٧/٤، والدر المصون: ١٥٧/٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز: ٥٣/٦.

(٣) زاد المسير: ٤٩٩/١، والدر المصون: ١٥٧/٤، وتفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لشهاب الدين الآلوسي: ١٩٢/٣، تح/ علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٤) الدر المصون: ١٥٧/٤، والبحر المحيط: ١٣٧/٤.

(٥) معاني القرآن للزجاج: ٩٢/٣، والمحرر الوجيز: ١٣٦/٢.

(٦) زاد المسير: ٤٩٩/١، والدر المصون: ١٥٧/٤، وتفسير الآلوسي: ١٩٢/٣.

(٧) الدر المصون: ١٥٧/٤، والمحرر الوجيز: ١٣٦/٢، البحر المحيط: ١٣٧/٤.

(٨) تفسير القرطبي: ١٦/٦.

(٩) الصحاح (أ ن س): ٩٠٥/٣، واللسان (أ ن س): ١٧/٦، والقاموس المحيط (أ ن س): ٥٣١، والتاج (أ ن س): ٤١٦/١٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٩٩/١، والدر المصون: ١٥٧/٤، البحر المحيط: ١٣٧/٤.

• وحكىٰ ابنُ الجوزي أنَّ ضمَّ النونِ مع الهمزة لغةُ بعض بني أسد، ثم قال: إلا أني لا أعلم أنه قُرئ بشيء من لغات الهمز(١).

ويمكن القول بأن اللغات التي هَمَزتْ إنما هي اللغات البدوية التي تُؤْثر همزَ الألفاظ في غالب كلامهم، أما اللغاتُ الأخرىٰ التي مالتْ إلىٰ التخفيف إنما هي القبائل الحضرية التي تميل إلىٰ التخلص من الهمز، ولذا رأينا شبه إجماع من أهل اللغة علىٰ نسبة الضم مع عدم الهمز إلىٰ أهل الحجاز(٢)، وقد كانت هذه هي اللغة المعتمدة في القراءات المتواترة لكونها جاءت علىٰ الصيغة المتمحضة للاسمية (فُعْلُل) ولا يصح تقديرها بوزن (يُفْعُل) بضم الأول والثالث لأنه مفقود في وزن الفعل، ويليها في الاستعمال لغةً وقراءةً: كسر النون مع عدم الهمز؛ لأنها جاءت علىٰ صورةٍ يجيءُ عليها المضارعُ المبني للفاعل وهي (يُفْعِل)، أما الصورة الثالثة من عدم الهمز مع فتح النون –وهي قراءة شيخنا أبي الجوزاء– فهي الأقل لغةً، وقد عُزيت إلىٰ بعض بني عقيل، وربما كان السبب في قلتها مجيئها علىٰ صورة موغلة في شبه الفعل، وهي صورة (يُفْعَل) المختصة بالمضارع المبني للمجهول(٣).

تعقيب:

يُعَدُّ الفتحُ أخفَّ الحركات الثلاث؛ بعكس الكسر والضم، فهما من أصوات اللين الضيقة، حيث تتكون الكسرةُ بارتفاع أول اللسان لأقصاه نحو الحنك بحيث لا يكون بينهما حفيفٌ بمرور الهواء، كما أن الضمةَ تتكون بارتفاع أقصىٰ اللسان مع الحنك الأعلىٰ(٤)، وربما كان هذا هو السبب في ميل أهل الحجاز إلىٰ الفتح غالبًا، بينما كان التميميون وأهل البادية بعكس ذلك حيث آثروا الكسر أو الضم، فالحجازيون مترفون مرفَّهون لا يعرفون جهدًا ولا مشقة، حتىٰ طُبع ذلك علىٰ ألفاظهم(٥).

وإجمالًا نستطيع أن نقول: إن لهجات القبائل –فيما اجتمع فيه الضم والفتح– فإنهم ينسبون الضم إلىٰ أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد؛ لأن الفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة، بينما تناسب الضمة أهل البادية لثقلها؛ ولأن الضم مظهر من مظاهر الخشونة(٦).

٢– التعاقب بين الكسر والضم:

بين الكسر والضم تشابهٌ كبيرٌ، حيث إن الصوتين من أصوات اللين الضيقة، كما أن كليهما يحتاج إلىٰ جهد عضلي كبير، ولكننا بالتأمل نجد أن الضمة تحتاج إلىٰ جهد عضلي أكثر؛ لأنها تتكون بتحرك أقصىٰ اللسان، في حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنىٰ اللسان، ولا شك أن تحرك أدنىٰ اللسان أيسر وأسهل من تحرك أقصاه(٧).

---

(١) السابق نفسه.
(٢) الدر المصون: ١٥٧/٤، والبحر المحيط: ١٣٧/٤، وتفسير الآلوسي: ١٩٢/٣.
(٣) ينظر: قراءة يحيى بن وثاب د. أحمد طه سلطان: ٧٩.
(٤) الأصوات اللغوية د. أنيس: ٣٢، ٣٣.
(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ١٢٢، د. عبده الراجحي، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، وينظر: اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي: ١/ ٢٦٠، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.
(٦) ينظر : في اللهجات العربية : ٩١.
(٧) السابق نفسه.

وبناءً علىٰ ذلك رأىٰ بعض المحدثين أن الكسرة لخفتها -مقارنة بالضمة- هي الأليق بالبيئات الحضرية حيث الطبيعة الرقيقة، والحياة الرغدة الناعمة، في حين أن القبائل البدوية وما هم عليه من شظف العيش ومشقته -حتمًا- سيؤثرون الضم، إذ ليس فيه من الرقة شيء(١).

وأيًا ما كان البعدُ بين الضم والكسر، فقد قررنا -آنفًا- أن بينهما تشابهًا، في كون كلٍّ منهما من أصوات اللين الضيقة، فاللسانُ في كلٍّ منهما يبلغ في صعوده -نحو الحنك- أقصىٰ ما يمكن للصوت أن يصل إليه، يقول ابن جني: "إن بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينها وبين الفتحة"(٢).

ولا شك أن هذا التناسبَ والقرب كان مسوِّغًا رئيسًا للتبادل بين الصوتين، كلٌّ حسب اختلاف البيئات والأشخاص، وقد حكت لنا قراءةُ أبي الجوزاء ألوانًا من هذا التبادل بين الكسر والضم، وهذا ما سيتضح فيما يلي:

١- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]

قراءة الجمهور بكسر الكاف، ويراد به كسوةُ الثياب.

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عبدالرحمن السُّلمي ويحيىٰ بنُ يعمر: (أو كُسوتهم) بضم الكاف(٣).

ونصَّ بعضُ المفسرين علىٰ أن كَسْرَ الْكَافِ وَضَمَّهَا لُغَتَانِ مِثْلُ: إِسْوَةٍ وَأُسْوَةٍ(٤)، وافقهم بعضُ أصحاب المعاجم(٥).

والضَّمُّ أَشْهَر، كَمَا قالَهُ ابنُ السيد؛ وَعند العامَّةِ الكَسْر أَشْهَر(٦)، ووافقه في ذلك بعض المحدثين(٧).

٢- قول الله (ﷻ): ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]

قرأ الجمهور: ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء منونة(٨).

وقرأ أبو الجوزاء وابن يعمر: (أُفٌّ) بالرفع والتنوين وتشديد الفاء(٩).

---

(١) السابق نفسه.

(٢) سر الصناعة : ١ / ٦٩ .

(٣) زاد المسير: ٥٨٠/١، وهي منسوبة لسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي كما في المحرر الوجيز: ٢٣٠/٢.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٧٩/٦، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ١٤٢/٢، تح/ محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، وتفسير الآلوسي: ١٤/٤.

(٥) ينظر: الجمهرة: ٨٥٧/٢، ومعجم ديوان الأدب للفارابي: ١٢/٤، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، والإبانة في اللغة العربية للعوتبي: ١٠٣/٤، تح/ د. عبدالكريم خليفة وآخرين، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة- مسقط- سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، ومعجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) المؤلف: أحمد رضا: ٦٧/٥، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، [١٣٧٧- ١٣٨٠هـ].

(٦) تاج العروس (ك س و): ٤٠٠/٣٩، ٤٠١.

(٧) معجم متن اللغة: ٦٧/٥، والمعجم العربي لأسماء الملابس د. رجب عبدالجواد إبراهيم: ٤٢٦، دار الآفاق العربية، القاهرة ، ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(٨) معاني القرآن للفراء: ١٢١/٢، والسبعة: ٣٧٩، ومعاني القراءات للأزهري: ٩١/٢.

(٩) زاد المسير: ١٨/٣.

و(أُفّ): اسمُ فعل مضارع بمعنىٰ أتضجَّر(١)، فهي تقال عند الضجر، ولو علم اللهُ (ﷻ) أوجز منها في العقوق لأتىٰ بها، وهي كنايةٌ عن كل قبيح (٢).

وهاتان القراءاتان لغتان في الكلمة من عدة لغات واردة فيها، ذكر بعضهم أنها ست، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، وقيل: عشر(٣)، حتىٰ أوصلها بعضُهم إلىٰ أربعين لغة(٤).

قُرئ في المتواتر والشاذ بثمانٍ هُنَّ: فتح الفاء وكسرها وضمها منونة وغير منونة، فهذه ست، ثم حذف إحدىٰ الفاءين، ثم (أُفِّي) ممالة(٥).

فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب(٦) -وهي قراءة الجمهور- ففيها تشبيهٌ بالأصوات التي لا معنىٰ لها، كقولهم في حكاية الصوت: غاقِ غاقِ، فخفضوا القاف ونوّنوها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحرّكوا إلىٰ أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر؛ لأن المجزوم إذا حُرّك، فإنما يحرّك إلىٰ الكسر(٧)، فحظُّ كلِّ ما لم يكن له معرّب من الكلام السكون؛ فلما كان ذلك كذلك، وكانت الفاء في أفّ حظها الوقوف، ثم لم يكن إلىٰ ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه، وكان حكم الساكن إذا حُرّك أن يحرّك إلىٰ الكسر حرّكت إلىٰ الكسر، كما قيل: مُدِّ، وشُدِّ، ورُدِّ الباب(٨).

وأما من ضمّ ونوّن –وهي قراءة أبي الجوزاء- فإنه اسمٌ كسائر الأسماء التي تُعرف وليس بصوت، وعدل به عن الأصوات(٩)، يقول ابن الأنباري: وَمن قَالَ: أُفٌّ، رَفَعه بِاللَّامِ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١](١٠).

٣- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الشعراء: ١٥٥].

---

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١٣٨٥/٣، تح/ عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١.

(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ٢١٥، تح/ د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق- بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

(٣) معاني القرآن للأخفش: ٤٢١/٢، وتفسير الطبري: ٤١٥/١٧- ٤١٧، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٣٤/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٧٠/٢، والحجة لابن خالويه: ٢١٥، ومعاني القراءات: ٩١/٢، والمحتسب: ١٨/٢، والهداية لمكي بن أبي طالب: ٤١٧٣/٦، والمحرر الوجيز: ٤٤٨/٣، وزاد المسير: ١٨/٣.

(٤) البحر المحيط: ٣٢/٧.

(٥) ينظر: تُحْفَةُ الأَقْرَانِ في مَا قُرِئَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْ حُرُوفِ القُرْآنِ لأبي جعفر الأندلسي: ١٣٠، الناشر: كنوز أشبيليا- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٨٢هـ=٢٠٠٧م.

(٦) تفسير الطبري: ٤١٧/١٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٥/١٧، ٤١٦، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٧٠/٢.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٧/١٧.

(٩) تفسير الطبري: ٤١٦/١٧.

(١٠) التهذيب (أ ف ف): ٤٢٢/١٥، وينظر: التفسير البسيط للواحدي: ٣٠٢/١٣، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

الجمهور بكسر الشين، وقرأ أُبيٌّ بنُ كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابنُ أبي عبلة: (لها شُرْبٌ) بضم الشين(١).

والمقصود بالشِّرْب: الحظُّ والنصيبُ من الماء، يقول: لها حظٌّ من الماء، ولكم مثله، والشُّرْب والشَّرْب والشِّرْب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر، وهي لغاتٌ عن العرب، وقد حُكي عن العرب سماعًا: آخرها أقلها شُربا وشِربا(٢).

وقراءةُ الجمهور بكسر الشين هي الاختيار –عند الهذلي–؛ لأن الشِّرب الحظ(٣).

أما قراءةُ أبي الجوزاء بالضم فهي أشبهُهَا بالمصادر –كما رأىٰ أبو جعفر النحاس– قال: لأنَّ المفتوحَ والمكسورَ يشتركان في شيءٍ آخر، فيكون الشِّرب: الحظ من الماء، ويكون الشَّرب جمع شارب، كتاجر وتَجْر، بينما اختار أبو عمرو والكسائي الفتح في المصدر، محْتَجَّيْنِ بِرِوَايَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "إِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرْبٍ"(٤).

وجديرٌ بالذكر أن في النصوص السابقة ما يُظهر وجهًا ثالثًا في الكلمة بالفتح، يقول ابنُ السيد: "والشَّرب بالفتح القوم المجتمعون علىٰ الشراب، والشِّرب بالكسر: الماء المشروب، ووقت الشرب، والشُّرب بالضم معروفٌ، ويثلث"(٥)، ونسب ابن الجوزي الفتح إلىٰ أهل نجد، وزعم الكسائي أن قومًا من بني سعد بن تيم يقولون: "شِرْبَ" بالكسر(٦).

من خلال ما سبق يلحظ أن: التبادل قد وقع بين الحركات الثلاث في فاء (شرب) ويوجه هذا التبادل بتوجيهين:

الأول: أن تكون لغات، وهذا يعنىٰ اتحاد المعنىٰ بينها، وهو ما يعرف بالمثلث المتفق المعنىٰ.

الثاني: التفريق في المعنىٰ بين الكلمات الثلاث بناء علىٰ التغاير في الحركات الثلاث وهو ما يعرف بالمثلث المختلف المعنىٰ: فالفتح جمع شارب أو أصل المصدر، والكسر: النصيب من المشروب، والضم: اسم المصدر(٧).

ثانيًا: تعاقب الحركات في الأفعال

(١) ينظر: الكامل للهذلي: ٦١١، والمحرر الوجيز: ٢٤٠/٤، وزاد المسير: ٣٤٦/٣، وتفسير القرطبي: ١٣١/١٣، والدر المصون: ٥٤٢/٨.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٦/١٩، والهداية لمكي: ٥٣٤٢/٨, والمصباح المنير للفيومي (ش ر ب): ٣٠٨/١، المكتبة العلمية، بيروت.

(٣) الكامل للهذلي: ٦١١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ١٢٩/٣، وينظر: الهداية: ٥٣٤٢/٨، والبحر المحيط: ١٨٣/٨، والحديث في الصحيحين عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ (ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ"، ينظر: صحيح البخاري: ١٧/٢، وصحيح مسلم: ٨٠٠/٢.

(٥) المثلث لابن السيد البطليوسي: ٤٤١/٢، تح/ صلاح الفرطوسي، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م، وينظر: الغرر المثلثة والدرر المبثثة للفيروزابادي: ص ٤٥٦، تح/ د. سليمان العابد، ط٢، نزار مصطفى الباز ٢٠٠١م.

(٦) زاد المسير: ٤/ ٢٢٥.

(٧) قراءة أبي عبدالله الزعفراني: ١١٦، ١١٧.

التعاقب بين الفتح والضم:

١- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ [النساء: ٥٥]

قراءةُ الجمهور بفتح الصاد.

وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عباس وابنُ جبير وعكرمةُ وابنُ يعمر والجحدريُّ: (مَنْ صُدَّ عنه) برفع الصاد.

وقرأ أُبيٌّ بنُ كعبٍ وأبو الجوزاء وأبو رجاء والجوني: (مَنْ صِدَّ عنه) بكسر الصاد(١).

الفعل (صَدَّ) ثلاثي مضعف، وقد تعرضَّتْ كتبُ القراءات واللغة له ولأمثاله، ونصَّتْ علىٰ أنه إذا بُني للمجهول ففي حركة فائه ثلاثةُ أوجه:

الأول: ضم الفاء، وهي اللغة الأفشىٰ كما قال ابن جني: "أما المضعف، فأكثره عنهم ضم أوله كشُدَّ ورُدَّ"(٢)، وعلىٰ هذا وردتْ قراءةُ ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وعكرمة وابن يعمر والجحدري.

وقد وُصف هذا الوجهُ عند النحاة بأنه الأفصحُ والأجودُ والأكثرُ في الاستعمال(٣).

الوجه الثاني: الإشمام: وبيانه كما حرره بعض المتأخرين فقال: أن يلفظ علىٰ فاء الكلمة بحركة تامة مركبة من حركتين إفرادًا لا شيوعًا جزء الضمة مقدم وهو الأقل يليه جزء الكسرة وهو الأكثر(٤)، وهذه اللغة أقل فشوًّا وسماعًا من سابقتها، كما ذكر ابن جني(٥)، ولم يُقرأْ بها هنا.

الوجه الثالث: وهو أقل الوجوه شيوعًا واستعمالًا، كسر الفعل كسرًا خالصًا، وقد نسبها أبو حيان لبني ضبة وبعض تميم ومن جاورهم، يقولون: رِدَّ الرجلُ، وقِدَّ قَميصُه(٦)، وهو الوجه الذي قرأ به أبو الجوزاء وله نظائرُ كثيرةٌ، منها:

- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [الرعد: ٣٣]: قرأ بكسر الصاد: علقمةُ ويحيىٰ بنُ وثَّاب(٧).
- وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [غافر: ٣٧] قرأ بكسر الصاد: علقمةُ ويحيىٰ بنُ وثَّاب(٨).

٢- قول الله (ﷻ): ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ﴾ [طه: ٩٧]

قَرَأَ الْجُمْهُورُ وَنَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ: ﴿ظَلْتَ﴾ بِظَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَلَامٍ سَاكِنَةٍ.

وقرأ أُبيٌّ بن كعب، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: (ظُلت) برفع الظاء.

وقرأ ابنُ مسعود، وأبو رجاء، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلة: (ظِلت) بكسر الظاء(٩).

---

(١) زاد المسير: ٤٢٢/١.
(٢) المحتسب: ٣٤٥/١.
(٣) الكتاب: ٤٢٣/٤.
(٤) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري: ٤٣٧/١، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
(٥) المحتسب: ٣٤٥/١.
(٦) ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان: ١٣٤٤/٣، تح/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، والبحر المحيط: ٦٧٩/٣.
(٧) المحرر الوجيز: ٣١٤/٣، وتفسير القرطبي: ٣٢٣/٩، والبحر المحيط: ٣٩٤/٦.
(٨) تفسير القرطبي: ٣١٥/١٥، والبحر المحيط: ٢٥٩/٩، والدر المصون: ٤٨٣/٩.
(٩) زاد المسير : ١٧٤/٣، والبحر المحيط : ٣٩٧/٧.

ومعنىٰ ﴿ ظَلْتَ عَلَيْهِ ﴾ كما قال ابن عباس (رضي الله عنهما): أقمت عليه، وقال الفراء: معناه: فعلته نهارًا(١).

وأصل ظَلْتَ: ظَلِلْت، حُذفت اللامُ الأولىٰ لثقل التضعيف والكسر، والعرب تفعل ذلك كثيرا، تقول: مَسْت لي ومَسِسْت، فحذفوا اللام الأولىٰ ونقلوا حركتها إلىٰ الظاء، ومنهم من لم ينقل(٢).

وقال الزجاج: (ظَلْت) و(ظِلْت) بفتح الظاء وكسرها، فمن فتح، فالأصل فيه: (ظَلِلْت) واللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاءُ علىٰ فتحها، ومن قرأ: (ظِلت) بالكسر، حوَّل كسرة اللام علىٰ الظاء(٣).

وهما لغتان للعرب في ظلت: فتح الظاء وكسرها(٤)، فالفتح كلامُ العربِ كما ذكر الفراء(٥)، وهو لُغَةُ بني تميم كما قرر الخليل(٦)، ولبَنِي سُلَيْمٍ كما نصَّ أبو حيان(٧)، أما الكسرُ فهو لأهل الحجاز(٨)، ولبعضِ بني تَمِيم كما نص الفراء(٩).

وَأَمَّا الضَمَّ –وهو ما جاءت عليه قراءة أبي الجوزاء– فَيَكُونُ عَلَىٰ أَنَّهُ جَاءَ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ عَلَىٰ فَعُلَ بِضَمِّ الْعَيْنِ فِيهِمَا، وَنُقِلَتْ ضَمَّةُ اللَّامِ إِلَىٰ الظَّاءِ كَمَا نُقِلَتْ فِي حَالَةِ الْكَسْرِ عَلَىٰ مَا تَقَرَّرَ(١٠).

المبحث الرابع: الهمز والتسهيل :

تحتاج الهمزةُ في نطقها إلىٰ مجهودٍ عضلي كبير، إذ اجتمعَ فيها صفتان من صفات القوة وهما: الجهرُ والشدةُ، فهي من أصعب الأصوات نطقًا؛ لهذا المجهود في النطق، ولبعد مخرجها، يقول إمام النحاة: "واعلم أنَّ الهمزة إنَّما فَعَلَ بها هذا مَنْ لم يخففْها؛ لأنَّه بعُد مخرجُها، ولأنها نبرةٌ في الصدَّر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجًا، فثقل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهُّوع"(١١).

ومن هنا تعددتْ مناهجُ العرب في طريقة نطقها، والتخلص من هذا الثقل، فيكون أحيانًا بالتخفيف، أو البدل، أو الحذف، أو الإتيان بها بينَ بينَ، وقد يكون بالحذف مع نقل حركتها إلىٰ الساكن الصحيح قبلها،

---

(١) زاد المسير : ١٧٤/٣.
(٢) التفسير الوسيط للواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد): ٢٢٠/٣، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م، وتفسير الكشاف: ٨٥/٣، والمحرر الوجيز: ٦٢/٤، وتفسير الفخر الرازي : ٩٦/٢٢.
(٣) معاني القرآن للزجاج: ٣٧٥/٣، وينظر: العين (ظ ل): ١٤٨/٨، التهذيب (ظ ل): ٢٥٦/١٤.
(٤) تفسير الطبري : ٣٦٤/١٨، التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٣٠٩/٢، تح/ علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
(٥) كتاب فيه لغات القرآن للفراء: ٩٣، تح/ جابر بن عبد الله السريع، عام النشر: ١٤٣٥هـ.
(٦) العين (ظ ل): ١٤٨/٨، التهذيب (ظ ل): ٢٥٦/١٤.
(٧) البحر المحيط : ٣٩٧/٧، ودراسات لأسلوب القرآن: ٢١٠/٥.
(٨) العين (ظ ل): ١٤٨/٨، التهذيب (ظ ل): ٢٥٦/١٤.
(٩) كتاب فيه لغات القرآن : ٩٣.
(١٠) دراسات لأسلوب القرآن: ٢١٠/٥.
(١١) الكتاب: ٣/ ٥٤٨.

يقول سيبويه: "اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل، فالتحقيق قولك: قَرَأْت، ورَأْس، وسَأَل، وبِئْس وأشباه ذلك. وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بينَ بينَ، وتبدل، وتحذف"(١).

ولذا كانت عنايةُ اللغويين –قديمًا وحديثًا– بصوت الهمزة، وتخصيصُهم مباحث خاصةً لها في كتبهم، تُعنىٰ بأمرها، وتشرح طريقة تخفيفها والتخلص من صعوبتها، يقول أحد الباحثين: "ويرجع ذلك إلىٰ الاختلاف في ماهيته، وفيٰ علاقته، أعني تصور القدماء لطريقة إنتاجه، وعلاقته بغيره من حروف المد واللين، ونظرة الدراسات الصوتية إلىٰ هذين الأمرين"(٢).

والهمزة –كما أشار علماؤنا القدامىٰ– صوت يخرج من أقصىٰ الحلق(٣)، يقول الخليل: "الهمز صوتٌ مهتوتٌ في أقصىٰ الحلق، فإذا رُفِّهَ عن الهمز صار نفسًا وتحول إلىٰ مخرج الهاء"(٤)، فسميت الهمزة –إذن– لأنها تُهْمَزُ فَتُهَتُّ فَتَنْهَمِزُ عَنْ مُخْرِجِهَا، يُقَالُ: هُوَ يَهُتُّ هَتًّا إِذا تَكَلَّمَ بالهَمْزِ"(٥).

ولم يُسَلِّم المُحْدثون من علماء الأصوات بكلام القدامىٰ عن مخرج الهمزة، فهي عندهم من المزمار نفسه، إذ عند النطق تنطبق فتحةُ المزمار انطباقًا تامًّا، فلا يُسمح بمرور الهواء إلىٰ الحلق، ثم تنفرج فتحةُ المزمار فجأةً، فيُسمع صوتٌ انفجاريٌّ هو ما نعبر عنه بالهمزة(٦).

وقد ترتَّب علىٰ ذلك: اختلافُهم –أيضًا– مع القدامىٰ في صفتها، فبينما ذهب الأقدمون إلىٰ كون الهمزة صوتًا مجهورًا شديدًا(٧)، رأىٰ المحدثون أنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن فتحة المزمار –معها– مغلقةٌ إغلاقًا تامًّا، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمع للهواء بالمرور إلىٰ الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة(٨).

وقد اختلف المُحْدثون –فيما بينهم– فها هو الدكتور عبدالرحمن أيوب ينتقد الرأي القائل بكون الهمزة صوتًا لا مجهور ولا مهموس، فيذهب إلىٰ أنها من المهموس قائلًا: "يقرر الدكتور أنيس أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، وبالرجوع إلىٰ تعريف الدكتور أنيس للجهر والهمس نجد أنه يصف

---

(١) الكتاب: ٣/ ٥٤١، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٥/ ٢٦٥، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، يقول ابن يعيش: "اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل، يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخلَ الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به، إذْ كان إخراجه كالتهوع، فلذلك الاستثقالُ ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثرها أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس".

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبدالصبور شاهين: ١٧.

(٣) الكتاب: ٤/٤٣٣، وينظر: المقتضب للمبرد: ١/ ٢٩٦، تح/ محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

(٤) العين (هـ ت): ٣ / ٣٤٩ .

(٥) لسان العرب (هـ م ز): ٥/٤٢٧.

(٦) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٩٠، ٩١.

(٧) الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٨) الأصوات اللغوية د. أنيس: ٩١، وينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران: ١٣١، دار الفكر العربي ، ط٢، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، وعلم اللغة العام (الأصوات) د. كمال بشر: ١١٢، وأصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال: ١٥٢، مطبعة الجبلاوي ، ط٢، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م .

الجهر بأنه صوت موسيقي يحدث عن اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازًا منتظمًا، ويصف الصوت المهموس بأنه الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان.... ومن ثم فإن وصف الدكتور أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورةً ولا مهموسةً وصفٌ غيرُ دقيق"(١).

وقد يُردُّ عليه بأن الهمزة صوت يحدث معه احتباسُ الهواء في الحنجرة، وهو شيء مغاير لحال الجهر والهمس، حيث ينطلق فيهما، فيؤثر في الأوتار الصوتية محدثًا الجهر، أو لا يؤثر فيها فيحدث الهمس، ومن هنا اختلف صوت الهمزة فقيل فيها لا مجهورة ولا مهموسة(٢)، وهو كلام مقبول من هذه الجهة.

موقف اللهجات العربية من نطق الهمزة:

نظرًا لذلك المجهود العضلي المبذول في نطق الهمزة، وتلك الصعوبة في طريقة إخراجها، تنوعتْ أحوالُ اللهجات العربية إزاء نطق الهمزة، ودفعهم ذلك -علىٰ اختلاف بيئاتهم وظروف معايشهم- إلىٰ أن يسلكوا طرائق قددًا في نطقها، واتسعت في ذلك ما لم تتسع في غيرها من الأصوات، بالتحقيق تارة، والتليين أخرىٰ، أو الإبدال والطرح.

والنظرةُ السريعةُ في المعاجم وكتب اللغة توحي لنا -إجمالًا- بأن القبائل البدوية في تميم وقيس وأسد هم أصحاب الهمز، بينما يميل الحضريون من أهل الحجاز ومكة والمدينة وهذيل إلىٰ التخلص من الهمزة، يقول أبو زيد الأنصاري: "أهل الْحجاز وهذيل وَأهل مَكَّة وَالْمَدينَة لَا ينبرون، وقف عَلَيْهَا عِيسَىٰ بنُ عمر فَقَالَ: مَا آخذ من قَول تَمِيم إلا بالنبر وهم أَصْحَاب النبر، وَأهل الْحجاز إِذا اضطروا نبروا، وَقَالَ أَبُو عمر الهذلي: قد توضيت، فَلم يهمز وحوَّلها يَاءً، وَكَذَلِكَ مَا أشبه هَذَا من بَاب الْهَمْز"(٣).

ويؤكد الفراء علىٰ أن الهمز في (المِنسَأَة) لعاصم والأعمش، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن، ولعلهم أرادوا لغة قريش؛ لأنهم يتركون الهمز(٤).

وخلاصة القول: إن تحقيق الهمزة هو اللغة الأدبية النموذجية التي التزمتها الخاصة في الخطب والشعر؛ لأن ظاهرة الهمز -من تحقيق وتسهيل- كانت -في أصلها- من الأمور التي فرَّقتْ بين لهجات وسط الجزيرة وشرقيها، وبين لهجات البيئة الحجازية، فلما نشأت اللغةُ النموذجيةُ الأدبيةُ قبل الإسلام، اتخذت الهمزةَ صفةً من صفاتها، وشاع هذا بين الخاصة في جميع القبائل العربية، ولمَّا جاء الإسلامُ وَجَدَ تحقيق الهمزة صفةً من صفات الفصاحة، يلتزمها الخاصةُ من العرب في الأسلوب الجدي من القول، وإن ظلَّتْ -في نفس الوقت- شائعةً بين اللهجات البدوية كلهجة تميم ومَنْ علىٰ شاكلتهم، ولهذا يُعدُّ تحقيقُ الهمز من أبرز الأمور التي اقتبستْها اللغةُ النموذجيةُ من غير البيئة الحجازية(٥).

---

(١) أصوات اللغة د. عبدالرحمن أيوب: ١٨٣، وينظر: أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال: ١٥٢، ١٥٣.
(٢) ينظر: أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال: ١٥٢، ١٥٣.
(٣) لسان العرب: ٢٢/١.
(٤) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٥٦ .
(٥) في اللهجات العربية: ٧٧، ٧٨ بتصرف واسع.

فالقبائل البدوية مالت إلىٰ تحقيق الهمز وإظهاره ربما لحياتهم في الصحراء الواسعة وما يتطلبه ذلك من محاولة إظهار الحروف وتوضيحها، ولا شك أن الهمز يساعدهم علىٰ ذلك، أما أهل الحضر من الحجاز وغيرهم فلأجل سُكْناهم في بيئتهم المتحضرة وما فيها من راحة ودعة كان التسهيل مناسبًا لهم.

وقد ورد عند أبي الجوزاء قراءةٌ واحدةٌ من هذه الظاهرة:

في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [الكهف: ٤١]

قرأ الجمهور: ﴿غَوْرًا﴾، وقرأ أبو الجوزاء وأبو المتوكّل: (غُؤُورًا) برفع الغين والواو الأولىٰ جميعًا وواو بعدها(١).

والغَوْرُ: مصدرٌ يُوصفُ به الماءُ المفردُ والمياهُ الكثيرةُ، كقولك: رجلٌ عدلٌ، وامرأةٌ عدلٌ ونحوه، ومعناه: ذاهبًا في الأرض لا يُستطاعُ تناولُه(٢)، وهو مَصْدَرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الِاسْمِ، كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ صَوْمٌ وَفِطْرٌ وَعَدْلٌ وَرِضًا وَفَضْلٌ وَزُورٌ وَنِسَاءٌ نَوْحٌ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالتَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ، وأجاز الْكِسَائِيُّ: غار الماء يغور غَوْرًا وغُئورًا، أَيْ سَفُلَ فِي الْأَرْضِ، وَيَجُوزُ الْهَمْزَةُ لِانْضِمَامِ الواو٣)

وأكد السمين الحلبي علىٰ القراءات في الكلمة، وكونها لغات: فالعامَّة علىٰ فتح الغين: غار الماءُ يغورُ غَوْرًا، غاض وذهب في الأرض، وقرأ البرجميُّ بضمِّ الغين لغةً في المصدر: غُورًا، وقرأتْ طائفةٌ: غُؤُورًا بضمِّ الغينِ والهمزةِ وواوٍ ساكنة، وهو مصدرٌ أيضًا، يُقال: غار الماءُ غُؤُورًا مثل: جَلَسَ جُلوسًا(٤)

وقد ذكر الأشموني أن من مواضع إبدال الواو همزةً: الواو المضمومة ضمةً لازمةً غيرَ مشددة، وهو إبدالٌ حسنٌ مطردٌ، نحو: أُجُوه جمع وجه، وأَدْؤُر جمع دار، وأَنْؤُر جمع نار، الأصل: وُجوه، وأَدْوُر، وأَنْوُر، ونحو: سُؤُوق جمع ساق، وغُؤُور مصدر غَار الماء يغُور غَوْرًا وغُؤُورًا، وليس القلب في هذا لاجتماع الواوين؛ لأن الثانية مدة زائدة(٥).

وأكد ناظر الجيش علىٰ أن هذا البدل للواو المضمومة همزةً مطردٌ وقياسيٌّ، سواء أكانت مُصدَّرة نحو: أُجوه، وأُقّتت في وجوه ووقّتت، وأُعِدَ في وُعد، وأُدّ في ودّ، حتىٰ إنه يقال في وُوري وَوُوعد: أوري وأوعد، فالهمزة في هاتين الكلمتين وما شاكلهما لأجل الضمة لا لأجل اجتماع الواوين، فإن الإبدال في مثله غير لازم كما عرفت- أم متوسطة نحو: تهاوُن وتعاوُن ونحوهما، وكذا: أَدْؤُر وأَثْؤُب، في: أدْوُر وأثوُب، والغوور.

---

(١) زاد المسير: ٨٦/٣، ونصَّ عليها أبو حيان بدون نسبة فقال: "وَقَرَأَتْ فِرْقَةٌ بِضَمِّ الْغَيْنِ وَهَمْزِ الْوَاوِ، يَعْنُونَ وَبِوَاوٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ فَيَكُونُ غُؤُورًا، كَمَا جَاءَ فِي مَصْدَرِ غارتْ عينُه غُؤُورًا" ينظر: البحر المحيط: ١٨٠/٧، والدر المصون: ٤٩٧/٧.

(٢) الدر المصون: ٥١٨/٣.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ٤٠٩/١٠.

(٤) الدر المصون: ٤٩٧/٧

(٥) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لنور الدين الأُشْمُوني الشافعي: ٩٧/٤، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م، وشرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد) لناظر الجيش: ٥٠١٥/١٠، تح/ د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ، وتداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم لعبدالرزاق بن فراج الصاعدي: ٣٨٠، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

والعلة في إبدال الواو المضمومة همزة في مثل هذه المواضع: أن الضمة علىٰ الواو تشبه اجتماع واوين، واجتماع الواوين مستثقل فكذلك ما يشبههما(١).

المبحث الخامس: الفكُّ الإدغام :

الاقتصادُ في الجهد العضلي غايةُ الناطقين باللغة، ومن هنا تميلُ الأصواتُ بطبيعتها إلىٰ أن يتأثر بعضُها ببعض، وذلك ما أطلق عليه اللغويون وعلماءُ القراءات (الإدغام أو المماثلة)، ولشيوع تلك الظاهرة وانتشارها جعلها أبو عمرو بنُ العلاء كلامَ العرب الذي يجرىٰ علىٰ ألسنتها(٢).

فالإدغام –إذن– ظاهرةٌ صوتيةٌ نشأتْ من تأثر الأصوات بعضها ببعض، بما يحققُ لها الخفةَ والسهولةَ في النطق؛ لأنَّ الصوتين المتماثلين المتجاورين في السياق الصوتي يتطلَّبان من الناطق جهدًا عضليًّا كبيرًا في حالة الفك، فعندما يُنطق الأول يتطلب من أعضاء النطق أن تقوم باتخاذ الوضع المطلوب لنطقه، ثم العودة إلىٰ وضح الراحة، ومثل ذلك يكون في المثال الثاني.

وثمة كانت التحركاتُ العضليةُ المطلوبةُ عند نطق متماثلين متجاورين تحركات أربعة متكررة، وهذه صعوبةٌ بالغةٌ، ومجهودٌ شاقٌّ تقوم به أعضاءُ النطق، وكانت الطريقةُ المثلىٰ للتخلص من ذلك المجهود كامنةً في الإدغام، لما فيه من الاختصار في ذلك من المجهود العضلي، كما يشير الواقع الفسيولوجي لنطق الأصوات المتماثلة المتجاورة.

تعريف الإدغام:

اتفق اللغويون وأصحاب المعاجم علىٰ أن معنىٰ الإدغام: الإدخال، ومنه أُخذ إدغامُ الحروف(٣).

كما يُستخدم الإدغامُ في اللغة –أيضًا– بمعنىٰ التغطية، ولا يَبعد عن معنىٰ الإدخال؛ لأن تغطية الحرف الأول تكون بإدخاله في الثاني، فهما متكاملان، يقول الأزهري: "يقال: دَغَمَ الغيثُ الأرضَ يَدْغَمُها، إذا غَشِيَها وقهرها، وأَدْغَمْتُ الشيء: غطَّيْته"(٤).

وأما في اصطلاح القراء وعلماء اللغة: فقد حظي الإدغام بتعريفات عدة، مختلفة اللفظ لكنها متحدةَ المعنىٰ، فتُفضي في نهاية الأمر إلىٰ تعريفٍ واحدٍ:

فعرَّفه بعضُهم بأنه: أن تصلَ حرفًا ساكنًا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسانُ بالحرفين ارتفاعةً واحدةً(٥)، وقال ابنُ الجزري: هو اللفظ بحرفين حرفًا كالتالي مُشَدَّدًا(٦).

---

(١) شرح التسهيل لناظر الجيش: ٥٠١٦/١٠.
(٢) النشر: ١/ ٢٧٥.
(٣) الصحاح (د غ م): ٥/ ١٩٢٠، وينظر: العين (د غ م): ٣٩٥/٤، والجمهرة (د غ م): ٢/ ٦٧٠، وتهذيب اللغة (د غ م): ٨/ ٩٥، واللسان (د غ م): ٢٠٣/١٢.
(٤) التهذيب (د غ م): ٨/ ٩٥، وينظر: لسان العرب (د غ م): ٢٠٣/١٢.
(٥) الإقناع في القراءات السبع: ٥٧.
(٦) النشر: ١ / ٢٧٤ .

وقال مكي بن أبي طالب: "الإدغام معناه: إدخالُ شيء في شيء، فمعنىٰ أدغمتُ الحرف في الحرف: أدخلتُه فيه، فجعلت لفظه كلفظة الثاني، فصارا مثلين والأول ساكن"(١).

ولم تختلفْ تعريفاتُ النحويين عن ذلك كثيرًا، فعند ابن السراج: "الإدغام: هو وصلك حرفًا ساكنًا بحرف مثله من موضعه، من غير حركةٍ تفصلُ بينهما ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرفٍ واحدٍ، ترفع اللسانَ عنهما رفعةً واحدةً ويشتد الحرف، ألا ترىٰ أن كلَّ حرف شديد يقوم في العروض والوزن مقام حرفين الأول منهما ساكن"(٢).

وبهذا ندرك صلة التعريفات الاصطلاحية بعضها ببعض، وصلتها بالمعنىٰ اللغوي العام، وهو الإدخال والتغطية(٣).

الهدف من الإدغام والغاية منه:

الإدغامُ ظاهرةٌ صوتيةٌ، الغرضُ منها التخفيفُ والسهولةُ في النطق، فيه يحصلُ الاقتصادُ في الجهد العضلي، إذ النطقُ بحرفين متماثلين شبيه بمشي المقيد(٤)، فكان الإدغام هو السبيل للتخلص من التقيد.

ومما ورد من ظاهرة (الفك والإدغام) عند أبي الجوزاء:

١- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ [التوبة: ٥٧]

قرأ الجمهور: ﴿ مُدَّخَلًا ﴾، وقرأ أبو الجوزاء: (أو مُتَدَخَّلًا) وهي منسوبة لأُبيٍّ، وأبي المتوكل(٥).

والآية في معرض الحديث عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ومعنىٰ مُدَّخل: يعني أنهم لو وجدوا قومًا يدخلون في جملتهم لَوَلَّوْا إليه، أي: إلىٰ أحد هذه الأشياء(٦).

ومُدَّخَلًا يعني: موضع دخول، وقال مجاهد: مُدَّخَلًا: محرزًا. وقال قتادة: سردابًا، وقال الكلبي وابن زيد: نفقًا كنفق اليربوع، وقال الضحاك: مأوًىٰ يأوون إليه، وقال الحسن: وجهًا يدخلونه علىٰ خلاف رسول الله (ﷺ)(٧).

وأصل (مُدَّخَل) كما ذكر الزجاج والنحاس والأزهري وغيرهم: (مُدْتخَل) وهو (مُفْتَعَل) من الدخول، يقال: ادَّخَلَ يدَّخِل ادِّخالًا ومُدَّخَلًا، وهذا مُدَّخل القوم، وَهُوَ بِنَاءُ تَأْكِيدٍ وَمُبَالَغَةٍ، ولكن التاء أبدلت دالًا

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب: ١٤٣/١، تح/ د. محيى الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٣هـ=١٩٧٤م .

(٢) الأصول في النحو لابن السراج: ٣ / ٤٠٥، تح/ عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت.

(٣) الإدغام والفك بين القراء واللغويين د.عبدالغفار هلال: ص٥٢، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

(٤) النشر: ١ / ٢١٧.

(٥) زاد المسير: ٢٦٨/٢، وينظر: إعراب النحاس ١٢٣/٢، وتفسير الكشاف: ٢٨١/٢، والمحرر الوجيز: ٤٦/٣.

(٦) زاد المسير: ٢٦٨/٢.

(٧) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) لأبي إسحاق الثعلبي: ٥٥/٥، تح/ الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، والمحرر الوجيز: ٤٦/٣.

لمجانسة الدال، لأن التاء مهموسة، والدال مجهورة، والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخف(١).

وجاءت قراءة أبي الجوزاء: (أو مُتَدَخَّلًا) علىٰ الأصل: برفع الميم، وبتاء ودال مفتوحتين، مشددة الخاء(٢).

أما قراءة الجمهور: ﴿مُدَّخَلًا﴾ فقد حدث فيها إدغامٌ، بعد أن قُلبت التاءُ دالًا لمجانسة الدال، ثم إدخال الأولىٰ في الثانية، ويقال له مماثلة تقدمية؛ لأن الصوت الأول وهو الدال أثَّر في الثاني وهو التاء فجذبه إليه، حيث إن التاء والدال متفقان في المخرج والصفات عدا صفة واحدة هي الجهر في الدال، والهمس في التاء، وبما أن المجهور أقوىٰ من المهموس فقد تغلَّب عليه واجتذبه إليه، فقلبت التاء إلىٰ نظيرها المجهور وهو الدال.

ولَئِنْ جاءت قراءةُ أبي الجوزاء ومن معه علىٰ الأصل، فإن قراءة الجمهور وردتْ علىٰ الأيسر والأسهل؛ لأن وضوحَ الأصوات وفصلَ بعضها عن بعض يتطلبُ بذلَ مجهودٍ عضليٍّ كبيرٍ، مما يتناسبُ مع بيئة الحجاز المدنية المتحضرة، التي تتسم بالتأني والتؤدة وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه، أما الإدغام فمنسوب إلىٰ القبائل التي كانت تقطن وسط شبه الجزيرة وشرقيها، ومعظمها قبائل بادية تعيش علىٰ التنقل والترحال، فتميل إلىٰ التخفيف والسرعة في الكلام كتميم وأسد وكعب ونمير وبكر بن وائل(٣).

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾[الحج: ٣١]

واختلفوا في قراءة: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾:

فقرأ الجمهور: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاء من غير تشديد الطاء.

وقرأ أبو رزين وأبو الجوزاء وأبو عمران الجوني: بكسر التاء والخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء: (فتِخِطَّفُه)(٤).

فأما قراءة الجمهور فعلىٰ الأصل، وهي من خَطِفَ يخطَفُ، والخَطْفُ الأخْذُ بسرعة.

وأما قراءة أبي الجوزاء بكسر الخاء والطاء: فالأصل (فَتَخْتَطِفُه)، يقال: خَطِفْتُ الشْيء واختَطفتُه، إذا اجْتَذَبته بسرعة(٥)، فآثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوىٰ صوتًا من المهموس، ومتىٰ كان الإدغام يُقوِّي الحرف المدغم حسن ذلك؛ وعلته أن الحرف إذا أدغم خفي فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوىٰ منه استحال لفظ المدغم إلىٰ لفظ المدغم فيه فقوي

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٥٥/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١٢٣/٢، ومعاني القراءات للأزهري: ٤٥٥/١، وتفسير الثعلبي: ٥٥/٥، وتفسير القرطبي: ١٦٥/٨، والبحر المحيط: ٤٣٨/٥.
(٢) زاد المسير: ٢٦٨/٢.
(٣) ينظر: اللهجات العربية د. عبدالغفار هلال: ٣٧٠، ٣٧١.
(٤) زاد المسير: ٢٣٥/٣، ٢٣٦.
(٥) معاني القراءات للأزهري: ١٤٢/١.

لقوته، فكان في ذلك تدارك وتلاف لما جُني علي الحرف المدغم(١)، ثم كُسرت الخاءث فرارًا من الساكنين؛ لالتقاء سكونها مع سُكُون الطاء، وكسر تاء المضارعة فهي إتباعٌ لكسرة فاء الفعل ما بعده، والعرب تفعل ذلك في كلامهم كثيرًا، يتبعون الكسرة في هذا الباب الكسرة يقولون: هو يِخِطِّف، وأنا إِخِطِّف، وقِتِلوا، وفِتِحوا، يريدون: (اِقْتِلوا) و(اِفْتِحَوا)، ومن شواهدهم في ذلك قول أبي النجم:

تدافُعَ الشِّيبِ ولم تِقِتِّل

أراد: تقتتل، فأسكن التاء الأولىٰ للإدغام، وحرك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر فصار تَقتِّل، ثم أتبع أول الحرف ثانيه فصار تِقِتِّل(٢).

ومفاد كلام اللغويين أن أصل الفعل (فَتَخْتَطِفُه)، فتأثر الصوت الأول التاء بالصوت الثاني الطاء، لقوة الثاني بما فيه من الإطباق والاستعلاء، فلزم أن تصير التاءُ إلىٰ مخرج الطاء؛ من أجل المحافظة علىٰ تلك الصفات المميزة للطاء.

أما سببُ الإدغام فاجتماعُ المثلين، ولما حدث إسكان الأول من المثلين فقد كان من الضروري كسرُ الخاء فرارًا من التقاء الساكنين، وكُسرتْ تاءُ المضارعة إتباعًا لكسرة فاء الفعل، وتسمىٰ هذه العمليةُ بالمماثلة الرجعية؛ حيث تأثر الصوتُ الأولُ (التاءُ) بالصوت الثاني (الطاء)(٣)، واللغةُ العاليةُ عند الزجاج وغيره هي التي عليها قراءَةُ الجمهور (خَطِفَ يخطَفُ)(٤)، وهي الأفصح والأعلىٰ كما رأىٰ صاحبُ الكشاف(٥)، وهي أفصحُ لغات العرب لأنها القرشيةُ، كما نص ابن عطية(٦)، وأما قراءةُ أبي الجوزاء بالإدغام والإتباع فلغةٌ واردةٌ عن العرب أيضًا(٧).

والإدغام في قراءة أبي الجوزاء في (فتِخِطَّفُه) هو الأكثر شيوعًا في بيئته البصرية العراقية، والتي تأثرت بلهجات القبائل النازحة إلىٰ العراق، ممن تأثروا بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها(٨).

٣- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ [عبس: ٦]

والمعنىٰ: تتَعَرَّضُ لَهُ، وتقبل عليه بوجهك، وَتُصْغِي لِكَلَامِهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الصَّدِّ، وَهُوَ مَا اسْتَقْبَلَكَ، وَصَارَ قُبَالَتَكَ، يُقَالُ: دَارِي صَدَدُ دَارِهِ أَيْ قُبَالَتَهَا، وَقِيلَ: مِنَ الصَّدَىٰ وَهُوَ الْعَطَشُ، أَيْ: تَتَعَرَّضُ لَهُ كَمَا يَتَعَرَّضُ الْعَطْشَانُ لِلْمَاءِ، وَالْمُصَادَاةُ: الْمُعَارَضَةُ(١).

---

(١) المحتسب: ٥٩/١.
(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٤/١، تح/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩٠م، ، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٢٥/٣، ومعاني القراءات للأزهري: ١٤٢/١، والمحتسب: ٥٩/١، والمحرر الوجيز: ١٠٣/١، والدر المصون: ١٧٩/١، والرجز لأبي النجم كما في الجمهرة: ٤٠٧/١، واللسان: ٥٣٣/١١، وشطره الثاني: فِي لَجَّةٍ أَمْسِكْ فُلَانًا عَنْ فُلِ.
(٣) ينظر: قراءة يحيى بن وثاب د. أحمد سلطان: ١٢٥، ١٢٦.
(٤) معاني القرآن للزجاج: ٩٥/١، ومعاني القراءات للأزهري: ١٤٢/١،
(٥) تفسير الكشاف: ٨٦/١، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١.
(٦) المحرر الوجيز: ١٠٣/١.
(٧) معاني القرآن للزجاج: ٩٥/١.
(٨) في اللهجات العربية د. أنيس: ٧١.

والفعل فيه عدة قراءات:

- قراءة الجمهور: ﴿تَصَدَّىٰ﴾ بفتح التاء والصاد وتخفيفهما، وأصلها تَتَصَدَّىٰ، ولكن حُذفتِ التاءُ الثانيةُ لاجتماع تاءين(٢).

قراءة ابن كثير، ونافع: (تصَّدَّىٰ) بتشديد الصاد، يقول الزَّجَّاج: ومن قرأ (تَصَّدَّىٰ) بإدغام التاء، فالمعنىٰ أيضًا: تتصدىٰ، إلا أن التاء أُدغمت في الصاد لقرب المخرجين مخرج التاء من الصاد(٣).

قراءة أُبيّ بن كعبٍ وأبي الجوزاء وأبي عمرو بن دينار: (تَتَصَدَّىٰ) بتاءين مع تخفيف الصاد(٤).

واللافتُ للنظر هو القراءة الثانية والأخيرة، فإحداهما جاءت بالإدغام والأخرىٰ بالفك، والإدغام بين التاء والصاد له ما يسوغه صوتيًّا، فالحرفان متقاربان في المخرج، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، والصاد تخرج مما بين الثنايا السفلىٰ وطرف اللسان(٥)، يقول د. إبراهيم أنيس: "فحين سمح للهواء معها بالمرور وصارت رخوة أشبهت السين كل المشابهة، وليس هناك فرق بين السين والصاد إلا في أن الثانية مطبقة، وهكذا تم الإدغام بين التاء والصاد"(٦).

وهذا النوع من الإدغام من قبيل التأثر الرجعي، حيث تأثر الصوتُ الأولُ وهو التاءُ بالصوت المتأخر وهو الصادُ فصارتا صادًا مشددةً.

المبحث السادس: الحذف:

يميلُ بعضُ العرب في نطقهم إلىٰ الاقتصادِ في المجهودِ العضليِّ، وذلك باستبدالِ المقاطعِ المفتوحةِ في الكلمةِ بحذفِها، وإحلالِ أخرىٰ مغلقةٍ محلَّها، وفيٰ ذلك اختصارٌ لزمن النطق بالكلمة، وتخفيفٌ علىٰ الناطقين.

وتظهرُ هذه الظاهرةُ بجلاء في قراءة أبي الجوزاء، وتكثرُ أمثلةُ الحذف في قراءته؛ وربما يكونُ السببُ في ذلك راجعًا إلىٰ تأثر بيئته العراقية بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها ممن يسكنون البادية، والذين تقوم حياتهم علىٰ التنقل والترحال، ولا شك أن السرعة في حياتهم انتقل أثرُها إلىٰ السرعة في نطقهم، وبدا ذلك في تخفُّفِهِم من عبء الحركات والأصوات، فيلجأون إلىٰ طرحها من كلامهم دون قصد منهم، وهذا يعد شيئًا فطريًّا بالنسبة لهم، فجرت عليه طبيعتهم، وصار سليقة لهم(٧).

ومما ورد من ظاهرة الحذف في قراءة أبي الجوزاء:

حذف الصائت أو تقصيره

---

(١) زاد المسير: ٤/٤٠٠، وينظر: تفسير الثعلبي: ١٠/١٣١، وتفسير القرطبي: ١٩/٢١٤.
(٢) معاني القرآن للزجاج: ٥/٢٩٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٥/٩٤، وزاد المسير: ٤/٤٠٠.
(٣) السابق نفسه.
(٤) زاد المسير: ٤/٤٠٠، وينظر: تفسير الثعلبي: ١٠/١٣١، وتفسير القرطبي: ١٩/٢١٤.
(٥) الكتاب: ٤/٤٦٢ وما بعدها.
(٦) الأصوات اللغوية: ١٩١.
(٧) ينظر: قراءة أبي عبدالرحمن السلمي د. عبدالتواب الأكرت: ٧٧.

حذف الصائت القصير من عين فَعُل:

تُعدُّ الضمةُ من الأصوات الخلفية الثقيلة، فإذا ما تتابع ضمتان في كلمة واحدة زاد الثقلُ، مما دعا بعضَ العرب إلىٰ التخفُّف من هذا الثقل بتسكين ثاني الضمتين، وهذا التخفيفُ منسوبٌ عند أئمة اللغة لبكر بن وائل، وناسٍ من تميم، وبلغ من اهتمام إمام النحاة بهذا اللون من التخفيف أنْ عَقَدَ له بابًا في كتابه وسمه بـ (باب ما يُسَكَّن استخفافًا وهو في الأصل متحرك) يقول فيه: "وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء (يقصد بكرَ بنَ وائل، وناسًا من تميم) يخففون أيضًا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تُكرهُ الواوان كذلك تُكرهُ الضمتان؛ لأن الضمةَ من الواو، وذلك قولُك في الرُّسْل، والطُّنْب، والعُنْق، تريد: الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق"(١).

ولم تقلّ الظاهرةُ أهميةً عند أبي الفتح ابن جني، فنراه يُفرد لها بابًا في الخصائص أطلق عليه (بابٌ في مضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف)، وضَّح فيه أن الحركات تحذف من الكلمة تخفيفًا(٢).

وفي المحتسب ينصُّ علىٰ أن هذا التخفيف بالإسكان لغةُ بني تميم، والتحريكُ مشهورٌ عند أهل الحجاز، يقول: "وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثاني من الثلاثي إذا كان مضمومًا أو مكسورًا، نحو: الرسُل، والطنُب، والكبِد، والفخِذ، ونحو: ظرُف، وشرُف، وعلِم، وقدِم، وأما بنو تميم فيسكنون الثاني من هذا ونحوه، فيقولون: رُسْل، وكُتْب، وكَبْد، وفَخْذ، وقد ظَرْف، وقد عَلْم"(٣).

ومما ورد من ذلك في قراءة أبي الجوزاء:

قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٣]

قراءة الجمهور: ﴿زُبُرًا﴾ بضم الزاي والباء(٤).

وقرأ أبو الجوزاء، وابن السميفع: (زُبْرًا) برفع الزاي وإسكان الباء(٥).

أما قراءة عامة قرّاء المدينة والعراق: ﴿زُبُرًا﴾ بضم الزاي والباء وهو جمع الزبور، فتأويل الكلام علىٰ قراءة هؤلاء: فتفرّق القومُ -الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسىٰ بالاجتماع علىٰ الدين الواحد والملة الواحدة- دينهم الذي أمرهم الله بلزومه (زُبُرًا) كتبًا، فَدَانَ كلُّ فريق منهم بكتابٍ غيرِ الكتاب الذين دان به الفريقُ الآخرُ، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة، وكذّبوا بحكم الإنجيل والقرآن، وكالنصارىٰ الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم، وكذبوا بحكم الفرقان(٦).

---

(١) الكتاب : ٤/ ١١٣، ١١٤.
(٢) الخصائص: ٢/ ٣١٧.
(٣) المحتسب: ١/ ٢٦١.
(٤) تفسير الطبري: ٤١/١٩، وجامع البيان في القراءات السبع للداني: ١٣٩٢/٣، والكامل في القراءات للهذلي: ٦٠٦.
(٥) زاد المسير: ٢٦٤/٣، وينظر: الكامل في القراءات للهذلي: ٦٠٦.
(٦) تفسير الطبري: ٤١/١٩.

فكلُّ فرقةٍ من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فرحٌ بباطله، مطمئنٌّ النفس، معتقدٌ أنه علىٰ الحق(١).

وأكد أبو البقاء علىٰ اتحاد المعنىٰ بين المتحرك والساكن(٢)، وَزاد صاحب الكشاف عليه أن زُبْرًا مخففة الباء كرسْل فِي رُسُلٍ(٣).

وقد جمع البنا الدمياطي في الإتحاف كلماتٍ حدثَ في عينها الإسكانُ تخفيفًا، ثم قال فيها: "ووجهُ إسكانِ البابِ كلِّه أنه لغةُ تميم وأسد وعامة قيس، ووجه الضم أنه لغة الحجازيين"(٤).

ولكن يؤخذُ عليه خلطُه بين ما جاء علىٰ (فُعْل) وكانت عينه في الأصل ساكنة، نحو: اليُسْر والعُسْر والرُّعْب والسُّحْت، ونُكْرا وسُحْقا وعُذْرا ونُذْرا، وبين ما جاء علىٰ (فُعْل) وكانت عينه في الأصل مضمومةً نحو: القُدُس والأُكُل والأُذُن، وشُغُل، وخُشُب، ثم نسب الضم للحجازيين علىٰ إطلاقه، والإسكان علىٰ إطلاقه لقبائل البدو من تميم وقيس وأسد، إنما كان ينبغي عليه التنبيه إلىٰ وجوب الفصل بين النوعين السابقين، فما كان الأصلُ في عينه الإسكان، فإسكانُهُ جارٍ علىٰ لغة الحجازيين، لِمَا أُثر عنهم من المحافظة علىٰ الحركة أو السكون، وعدم الميل إلىٰ التغيير، أما غيرُ الحجازيين- وبخاصة بنو أسد- فإنهم كانوا يغيرون حركة العين فيما كان من هذا النوع، أما ما كان الأصل في عينه الضم مفردًا كان أو جمعًا، فالضم فيه لغة الحجازيين، لأنهم ليسوا من أهل التغيير، وإسكان العين منه لغة غيرهم من قبائل البدو علىٰ سبيل التخفيف(٥).

ولأنَّ إسكانَ حركة العين مظهرٌ من مظاهر الخفة في النطق، ووسيلةٌ لتلمس الاقتصاد في الجهد العضلي فقد عُدَّ من مظاهر اللهجة البدوية، حيث عُزي إلىٰ بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم(٦)، وأسد وعامة قيس(٧)، وهذيل وكلاب وعقيل(٨).

ويرىٰ بعضُ المحدثين أن السرعة في النطق سمةٌ من سمات القبائل البدوية، وهم يتلمَّسون كلَّ السبل للوصول إلىٰ تلك الغاية، فيختصرون الحركة الطويلة، ويدغمون الأصوات بعضها في بعض، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع(٩).

---

(١) تفسير الكشاف: ١٩١/٣.
(٢) التبيان : ٩٥٧/٢، والدر المصون : ١٩٧/٨.
(٣) تفسير الكشاف: ١٩١/٣، وتفسير الفخر الرازي : ٢٨١/٢٣.
(٤) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي: ١٤٣، تح/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية- لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.
(٥) ينظر: قراءة يحيى بن وثاب د. أحمد سلطان: ص٩٧، ٩٨.
(٦) الكتاب: ١١٣/١، والمخصص لابن سيده: ٣٣٥/٤، تح/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
(٧) إتحاف فضلاء البشر: ص ١٨٦.
(٨) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث: د.الموافي البيلي:٢١٢، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
(٩) في اللهجات العربية د. أنيس: ١٣٢، والحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث: د.الموافي البيلي: ٢١٢.

وفي هذا الكلام نظرٌ؛ فإن طبيعة البدو السرعةُ والتنقلُ وهذا يُنافي التسكين، بعكس أهل الحجاز الذين يميلون إلىٰ التأني والتريث، فكان ينبغي أن يؤثر بنو تميم الحركات لسرعتها بينما يميل أهل الحجاز إلىٰ التسكين.

والأقرب إلىٰ القبول أن نسبة الإسكان إلىٰ القبائل البدوية سببه هنا اختصارُ المقاطع، والميلُ إلىٰ المقاطع المغلقة مما يناسبُ اللهجة البدوية التي تميلُ إلىٰ توضيح الأصوات وقوتها، مما يتفق مع ظروف بيئتهم الجغرافية والاجتماعية، حيث سكنىٰ الصحراء الشاسعة التي تضيع فيها الأصوات وتتلاشىٰ(١).

حذف الصائت القصير من عين فَعَل:

من قول الله (ﷻ): ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: ٤٠]

قراءة الجمهور: ﴿الْجَمَلُ﴾ بفتح الجيم والميم خفيفتين.

وقرأ أبو الجوزاء وأبو المتوكل،: (الجَمْل) بفتح الجيم، وبسكون الميم خفيفة(٢).

واستحسن العكبري أن تكون قراءةُ أبي الجوزاء (الْجَمْل) لغةً لا تخفيفًا من المفتوح في قراءة الجمهور ﴿الْجَمَلُ﴾؛ معللًا ذلك بخفة الفتحة، لِأَن تَخْفيفَ المفتوح ضَعِيفٌ(٣)، وبعد أن وافقه ابنُ جني علىٰ كلامه رجع وقال: وإن كان قد جاء عنهم قوله:

وما كلُّ مُبْتاعٍ ولَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ بِراجِعِ ما قدْ فاتَهُ بِرَدادِ(٤)

وإلىٰ ذلك مال القرطبي(٥).

أما صاحبُ الكشاف فقد أورد القراءة الجَمْل -بوزن الحَبْل- مبينا أن معناها مغاير لمعنىٰ الجمهور، فهي القَلْسُ الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة، ثم أكد علىٰ مناسبتها للسياق في الآية، يعنىٰ أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سَمِّ الإبرة، والبعير لا يناسبه، ثم عاد وقال: "إلا أن قراءة العامّة أوقعُ؛ لأن سَمَّ الإبرة مَثَلٌ في ضِيق المسلك، يقال: أضيق من خرت الإبرة، وقالوا للدليل الماهر: خِرِّيت، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر(٦)، وأيده أبو حيان بقوله: "وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ ﴿الْجَمَلُ﴾ بِفَتْحِ الجيم والميم أَوْقَعُ؛ لِأَنَّ سَمَّ الْإِبْرَةِ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الضِّيقِ، وَالْجَمَلُ -وَهُوَ هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ- يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي عِظَمِ الْجُثَّةِ كَمَا ذَكَرْنَا"(٧).

وبعد بيانه أن (الجُمَّل) بضم الجيم وفتح الميم مشددة هو القَلْسُ، وهو حبلٌ غليظ يُجمع من حبال كثيرة فَيُفْتَل وهو حبلُ السفينة وقيل: الحبل الذي يُصْعَد به إلىٰ النخل، ذكر السمين الحلبي في اللفظة لغات أخرىٰ قد قرئ بها: فقرأ ابنُ عباس أيضًا في رواية عطاء: الجُمُل بضم الجيم والميم مخففة، وبها قرأ الضحَّاك

---

(١) ينظر: الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢١٩، ٢٢٠.
(٢) زاد المسير: ١١٩/٢
(٣) التبيان للعكبري: ٥٦٧، والتاج (ج م ل): ٢٣٠/٢٨.
(٤) المحتسب: ٢٤٩/١، والبيت من الطويل وهو بلا نسبة في المحكم: ٥٠٠/٨، واللسان: ١٥٨/٩.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٠٧/٧.
(٦) تفسير الكشاف: ١٠٣/٢.
(٧) البحر المحيط: ٥١/٥، ٥٢.

والحجدري. وقرأ عكرمة وابن جبير بضم الجيم وسكون الميم. والمتوكل وأبو الجوزاء بالفتح والسكون، قال: وكلها لغات في القَلْس المذكور(١)

وجملة القول: أن قراءة أبي الجوزاء (الجَمْل) بفتح الجيم وتسكين الميم، لها أحد توجيهين:

أنها تخفيفٌ من قراءة الجمهور، وتخفيفُ المفتوح له ما يؤيده من شواهد العرب، وإلىٰ ذلك مال بعض اللغويين.

أو هي لغةٌ واردةٌ عن العرب، وأيد ذلك فريقٌ آخرُ من أئمة اللغة.

حذف الصائت القصير من عين فِعِل:

في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[الأنبياء: ١٠٤]

قرأ الجمهور: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ بكسر السين والجيم وتشديد اللام.

وقرأ الحسن وأبو المتوكل وأبو الجوزاء ومحبوب عن أبي عمرو: (السِّجْلِ) بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة(٢).

واختلفوا في ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾:

فقال ابنُ عمر والسدىّ: السِّجِلُّ: مَلَكٌ يكتب أعمال العباد، فإذا صعد بالاستغفار قال الله (ﷻ): اكتبها نورًا.

وقال ابنُ عباس ومجاهد: هو الصحيفة، واللام في قوله ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بمعنىٰ (علىٰ) تأويلها: كطىّ الصحيفة علىٰ مكتوبها(٣).

ونصَّ العكبري علىٰ أن هذه الأوجه في القراءة لغات مسموعة في الكلمة قال: "السِّجِلُّ: الْقِرْطَاسُ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ مَلَكٍ أَوْ كَاتِبٍ، فَيَكُونُ مُضَافًا إِلَىٰ الْفَاعِلِ.

وأكد العكبري علىٰ الأوجه الجائزة في الكلمة، مبينًا أنها لغات فقال: "وَيُقْرَأُ بِكَسْرِ السِّينِ وَالْجِيمِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَيُقْرَأُ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَيُقْرَأُ بِفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِ الْجِيمِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَبِضَمِّ السِّينِ وَالْجِيمِ مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا ؛ وَهِيَ لُغَاتٌ فِيهِ"(٤).

وسبقه ابن جني إلىٰ ذلك منكرًا كونها فارسية معربة، ومؤكدا علىٰ عربيتها، وهذه اللغات بعد مسموعة فيه(٥).

حذف الصائت الطويل

---

(١) الدر المصون: ٣٢١/٥.

(٢) زاد المسير: ٢١٦/٣، وينظر: المحرر الوجيز: ١٠٢/٤.

(٣) تفسير الثعلبي: ٣١١/٦، وتفسير القرطبي: ٣٤٧/١١.

(٤) التبيان للعكبري: ٩٢٩/٢، والتكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصغاني: ٣٩١/٥، تحقيق مجموعة من العلماء، الناشر: مطبعة دار الكتب، القاهرة.

(٥) المحتسب: ٦٧/٢، التكملة والذيل والصلة: ٣٩١/٥.

١- قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ ﴾[إبراهيم: ٤]

قراءة الجمهور: ﴿بِلِسَانِ ﴾

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران: (بِلِسْنِ قومه) بكسر اللام وسكون السين من غير ألف(١).

وفي القراءة توجيهان:

أحدهما: أن اللِّسْن واللسان، كالرِّيش والرِّيَاش: فِعْل وفِعَال بمعنىٰ واحد، إذا كان يراد باللسان اللغة والكلام(٢)، وهما لغتان كما حكىٰ البيضاوي والآلوسي(٣)، وأكد عليها أَبو عَمْرٍو بقوله: لكلِّ قَوْمٍ لِسْنٌ يَتكلَّمُونَ بهَا، أَي لُغَة(٤).

الآخر: إن أريد به العضو فلا يقال فيه: لِسْن؛ إنما ذلك في القول لا العضو، وكأن الأصل فيهما للعضو، ثم سَمَّوا القول لسانًا؛ لأنه آلته، كما يُسَمىٰ الشيء باسم الشيء لملابسته إياه(٥).

٢- قول الله (ﷻ): ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾[يس: ٥٥]

قرأ الجمهور: چپچبألف بعد الفاء، وقرأ ابنُ مسعود وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو المتوكل وقتادة وأبو الجوزاء والنخعي وأبو جعفر المدني: (فَكِهُون)(٦).

قراءة الجمهور ﴿فَٰكِهُونَ ﴾ علىٰ صيغة (فاعل)، وقراءة أبي الجوزاء: (فكِه) بزنة (فَعِل) فهل بينهما فرق:

ذهب فريقٌ من أهل اللغة إلىٰ أن بينهما فرقًا، فأما چپ چ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: فَرِحون، قاله ابن عباس.

والثاني: مُعْجَبُون، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل.

والرابع: كثيرو الفواكه أصحاب فاكهة، كما يقال: فلانٌ لابِنٌ تامِرٌ، أي عنده لبنٌ كثيرٌ، وتمرٌ كثيرٌ، وكذلك عاسلٌ، ولاحمٌ، وشاحمٌ، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة.

وأما (فَكِهون) ففيه قولان:

---

(١) زاد المسير : ٥٠٤/٢، وينظر في نسبة القراءة: البحر المحيط : ٤٠٨/٦، والدر المصون: ٦٩/٧، وتفسير الألوسي: ١٦٧/٧.

(٢) المحتسب: ٣٥٩/١، والقاموس المحيط (ل س ن): ١٢٣١، وحَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين الخفاجي: ٣٥٩/١، دار النشر: دار صادر – بيروت.

(٣) تفسير البيضاوي: ١٩٣/٣، وحاشية الشهاب: ٢٥١/٥، وتفسير الألوسي: ١٦٧/٧.

(٤) التهذيب (ل س ن): ٢٩٦/١٢، والصحاح (ل س ن): ٢١٩٥/٦، والتاج (ل س ن): ١١٤/٣٦.

(٥) المحتسب: ٣٥٩/١، والمحرر الوجيز: ٣٢٣/٣، والبحر المحيط: ٤٠٨/٦، والدر المصون: ٦٩/٧، وقراءة أبي السَّمَّال العدوي د. حمدي عبدالفتاح مصطفى: ٩٢، مكتبة الآداب، ط٢، ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م.

(٦) زاد المسير: ٥٢٧/٣، وينظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٠، والمبسوط في القراءات العشر للنيسابوري: ٣٧١، تح/ سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية– دمشق، ١٩٨١م، وتفسير البغوي: ١٧/٤، والمحرر: ٤٥٩/٤، وتفسير القرطبي: ٤٤/١٥، والبحر المحيط: ٧٥/٩،.

أحدهما: أن الفَكِه: الذي يتفكَّه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكَّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس بالهمز واللمز والوقوع فيهم: إن فلانًا لفَكِهٌ بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكاهَة، قاله أبو عبيدة.

والثاني: أن فَكِهين بمعنىٰ فَرِحين، قاله أبو سليمان الدمشقي(١).

بينما يرىٰ الفراء والزجاج وغيرهما أن ﴿فَٰكِهُونَ﴾ و(فكِهون) لغتان بمعنىٰ واحد، كما يقال: حاذِرٌ وحَذِرٌ، قال الزجاج: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ و(فكِهون) بمعنىٰ فَرِحين(٢)، وجاء في اللسان: لَمَّا قُرِئَ بِالْحَرْفَيْنِ فِي صِفَةِ أَهل الْجَنَّةِ عُلِمَ أَن مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ(٣).

وحذف الصائت الطويل في قراءتي أبي الجوزاء: (بِلِسْنِ) و(فَكِهُون) موافق لبيئته البصرية المتأثرة بالنازحين من أهل البدو، والذين عرف عنهم التنقل والارتحال وعدم الاستقرار، مما انطبع أثره في لغتهم فكان الاختصار في المقاطع، وحذف بعضها إن تطلب الأمر، يقول د. أنيس: "تميل القبائل البدوية إلىٰ السرعة في نطقها، وتلمس أيسر السبل، فتدغم الأصوات بعضها في بعض، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع"(٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٠، وتفسير الثعلبي: ١٣٢/٨، والهداية لمكي ٦٠٥٤/٩، وزاد المسير: ٥٢٧/٣، ٥٢٨، وتفسير القرطبي: ٤٤/١٥، والبحر المحيط: ٧٥/٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٠، وتفسير الثعلبي: ١٣٢/٨، والهداية لمكي ٦٠٥٤/٩، وتفسير البغوي: ١٧/٤، والمحرر الوجيز: ٤٥٩/٤، وزاد المسير: ٥٢٧/٣، ٥٢٨، وتفسير القرطبي: ٤٤/١٥، والبحر المحيط: ٧٥/٩، واللسان (ف ك ه): ٥٢٤/١٣.

(٣) اللسان (ف ك ه): ٥٢٤/١٣.

(٤) في اللهجات العربية د. أنيس: ١٣٢.

الفصلُ الثَّالثُ

قراءةُ أبي الجوزاء دلاليًّا

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الاختلاف في الاشتقاق والدلالة.
- المبحث الثاني: الاختلاف في الاشتقاق دون الدلالة.
- المبحث الثالث: الاختلاف في الدلالة دون الاشتقاق.

المبحث الأول : الاختلاف في الاشتقاق والدلالة :

١- من قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء: ١١٧]

قرأ الجمهور: ﴿إِنَٰثًا ﴾ وقرأ سعدُ بنُ أبي وقاص وعبدُالله بنُ عمر وأبو مجلز وأبو المتوكل وأبو الجوزاء: (إِلا وَثَنًا): بفتح الواو، والثاء من غير ألف(١).

أما قراءة الجمهور: (إناثًا) فمعناها –كما قال ابن عباس–: مع كل صنم شيطانة، وقيل: سَمَّىٰ معبوداتهم إناثًا لأن الحجارة مؤنّثة فذكَرها الله (ﷻ) بالضَّعة لأن المذكر من كل شيء أرفعُ من المؤنث(٢)، وقال أهلُ اللغة: إنما سميت إناثًا لأنهم سموها اللات والعزىٰ ومناة وهذا عندهم إناث، وقال الحسن: معناه: ما يعبدون إلا حجارة وخشبا(٣).

يقول أبو جعفر الطبري: والقراءة التي لا نستجيز القراءة بغيرها، قراءة من قرأ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ بمعنىٰ جمع أنثىٰ؛ لأنها كذلك في مصاحف المسلمين، ولإجماع الحجة علىٰ قراءة ذلك كذلك(٤).

وفي هذه اللفظة تسعُ قراءات(٥):

- المتواترة: ﴿إِنَٰثًا ﴾.

والثانية: (أُنْثَىٰ)، وبها قرأ الحسن.

والثالثة: (إلا أُنُثا) كرُسُل، بتقديم النون علىٰ الثاء، وبها قرأ ابن عباس وأبو حيوة وعطاء والحسن أيضًا ومعاذ القارئ وأبو العالية وأبو نهيك.

والرابعة: (وَثَنًا) بفتح الواو والثاء، وبها قرأ سعدُ بنُ أبي وقاص وابنُ عمر وأبو الجوزاء.

والخامسة: (أُثُنًا) بضم الهمزة والثاء قبل النون، وبها قرأ سعيدُ بنُ المسيب ومسلمُ بنُ جندب وابنُ عباس أيضًا.

والسادسة: (وُثُنًا) بضم الواو والثاء وبها قرأ أيوب السختياني.

والسابعة والثامنة: (أُثْنًا ووُثْنًا) بسكونِ الثاء مع الهمزة والواو.

والتاسعة: (إلا أَوْثانًا)، وبها قرأ أبو السوار، وكذا وُجِدَتْ في مصحف عائشة.

والقراءات التسع في اللفظة تتفق في أن هؤلاء المشركين كانوا يعبدون من دون الله أصنامًا، وأنهم كانوا يسمون هذه الأصنام بالإناث، لأنهم كانوا يُلْبسونها أنواعَ الحُلِيّ ويسمونها بأسماءِ المؤنثات نحو: اللات

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٩، وزاد المسير: ٤٧٢/١، البحر المحيط: ٦٩/٤، والدر المصون: ٩١/٤.
(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٢٣٩/١.
(٣) معاني القرآن للنحاس: ١٩١/٢.
(٤) تفسير الطبري: ٢١٠/٩.
(٥) ينظر: المحتسب: ٥٦٦/١، والمحرر الوجيز: ١١٣/٢، والبحر المحيط: ٦٩/٤، والدر المصون: ٩١/٤– ٩٣.

والعزىٰ ومَناةَ، وهذا هو الغالب(١)، ولأن الحجارة مؤنَّثة فذكرها الله (ﷻ) بالضعة لأن المذكر من كل شيء أرفع من المؤنث(٢):

فالقراءة الأولىٰ (إناثا) وهي جمع أُنْثىٰ نحو رِباب جمعُ رُبّىٰ.

والقراءة الثانية (أُنْثَىٰ) مفرد الإناث، والمرادُ به الجمع.

والقراءة الثالثة (أُنُثا) كرُسُل، وفيها ثلاثةُ أوجه:

أحدها: أنه جمعُ (إناث) كثِمار وثُمُر(٣).

والثاني: أنه جمع (أنيث) كقليب وقُلُب، وغدير وغُدُر، والأنيث من الرجال المُخَنَّثُ الضعيفُ، ومنه: سيف أنيث وميناث وميناثة أي: غير قاطع(٤).

والثالث: أنه مفردٌ أي: يكون من الصفات التي جاءت علىٰ فُعُل نحو امرأة حُنُثٌ.

والرابعة: (وَثَنا) بفتح الواو والثاء علىٰ أنه مفرد يراد به الجمع.

والخامسة: (أُثُنا) بضم الهمزة والثاء، وفيها وجهان:

أظهرهما: أنه جمع وثَنَ نحو: (أسَد وأُسُد) ثم قَلَبَ الواوَ همزةً لضمِّها ضمًّا لازِمًا، والأصلُ: (وثُنُ) ثم أُثُن، يقول ابن جني: "أما (أُثُن) فجمع وَثَن، وأصله وُثُن، فلما انضمت الواو ضمًّا لازمًا قلبت همزة، كقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]، وكقولهم في وُجوه: أُجُوه، وفي وُعِد: أُعِد، وهذا بابٌ واسعٌ(٥).

والثاني: أن (وَثَنًا) المفردَ جُمِع علىٰ (وِثان) نحو: جَمَل وجِمال، وجَبَل وجِبال، ثم جُمِع (وِثان) علىٰ (وُثُن) نحو: حِمار وحُمُر، ثم قُلبت الواوُ همزةً لِما تقدَّم فهو جمعُ الجَمْعِ(٦).

أما (وُثُنًا) و(أُثْنًا) و(وُثْنًا) فالثلاث مخففةٌ من القراءة السابقة: الأولىٰ بقلب الهمزة واوًا، والثانية والثالثة بتخفيف فُعُل إلىٰ فُعْل كسُقُف، يقول ابن جني: "ومن قال: (أُثْنًا) بسكون الثاء فهو كأُسْد، بسكون السين"(٧)

وأما الأخيرة (أَوْثانًا) فهي جمع (وَثَن) نحو: جَمَل وأَجْمال وجَبَل وأَجْبال.

٢- من قول الله (ﷻ): ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢]

قراءة الجمهور: ﴿خَلْفَكَ﴾ بالفاء، وقرأ أبو الجوزاء وابن السميفع وأبو المتوكل: (لِمَنْ خَلَقَكَ) بالقاف(٨).

أما قراءة أبي الجوزاء بالقاف (لِمَنْ خَلَقَكَ) فمعناها: يجعلُك اللهُ آيةً له في عباده كسائر آياته.

---

(١) الدر المصون: ٤/٩٢.
(٢) إعراب القرآن للنحاس: ١/٢٣٩.
(٣) تفسير الطبري: ٩/٢١٠.
(٤) البحر المحيط: ٤/٦٩.
(٥) المحتسب: ١/١٩٨، وينظر: تفسير الطبري: ٩/٢١٠، والبحر المحيط: ٤/٦٩.
(٦) معاني القرآن للزجاج: ٢/١٠٨.
(٧) المحتسب: ١/١٩٨، وينظر: تفسير الطبري: ٩/٢١٠.
(٨) زاد المسير: ٢/٣٤٩، وبالقاف منسوبة لسيدنا علي بن أبي طالب (ﷺ) كما في تفسير الثعلبي: ٥/١٤٨.

وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ: لِيَكُونَ طَرْحُكَ عَلَىٰ السَّاحِلِ وَحْدَكَ، وَتَمْيِيزُكَ مِنْ بَيْنِ الْمُغْرَقِينَ لِئَلَّا يَشْتَبِهَ عَلَىٰ النَّاسِ أَمْرُكَ، وَلِئَلَّا يَقُولُوا -لِادِّعَائِكَ الْعَظَمَةَ- إِنَّ مِثْلَهُ لَا يَغْرَقُ وَلَا يَمُوتُ، آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ(١)، فإن إفراده إياك بالإلقاء إلىٰ الساحل دليل علىٰ أنه تعمُّدٌ منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك، وذلك دليلٌ علىٰ كمال قدرته وعلمه وإرادته(٢).

٣- من قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النجم: ١٩]

قَرَأَ الْجُمْهُورُ: ﴿ٱللَّٰتَ﴾ خَفِيفَةَ التَّاءِ.

واللَّات: اسم صنم كانت العرب تعظمه، قال أبو عبيدة وغيره: كان في الكعبة، وقال قتادة: كان بالطائف. وقال ابن زيد: كان بنخلة عند سوق عكاظ، وقول قتادة أرجح، يؤيده قول الشاعر:

وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَىٰ لَاتِهَا بِمُنْقَلِبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ(٣)

وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَمَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ وَأَبُو صَالِحٍ وَطَلْحَةُ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَيَعْقُوبُ وَابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةٍ: بِشَدِّهَا، يعني: (اللَّاتُّ)(٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ هَذَا رَجُلًا بِسُوقِ عُكَاظٍ، يَلُتُّ السَّمْنَ وَالسَّوِيقَ عِنْدَ صَخْرَةٍ.

وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَلتُّ السَّوِيقَ لِلْحُجَّاجِ عَلَىٰ حَجَرٍ، فَلَمَّا مَاتَ عَبَدُوا الْحَجَرَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، إِجْلَالًا لِذَلِكَ الرَّجُلِ، وَسَمَّوْهُ بِاسْمِهِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: كَانَ هذا الرجل فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَهُ غُنَيْمَةٌ يَسْلَأُ مِنْهَا السَّمْنَ وَيَأْخُذُ مِنْهَا الْأَقِطَ، وَيَجْمَعُ رِسْلَهَا ثُمَّ يَتَّخِذُ مِنْهَا حَيْسًا فَيُطْعِمُ مِنْهُ الْحَاجَّ، وَكَانَ بِبَطْنِ نَخْلَةَ، فَلَمَّا مَاتَ عَبَدُوهُ، وَهُوَ اللَّاتُّ(٥).

ومال الصاغاني إلىٰ قراءة التثقيل وقال هي الأصلُ؛ لأنّ الصنم إنّما سُمّي باسم الرجلِ اللّاتِّ الذي كان يَلُتُّ عند هذا الصَّنَم السَّوِيقَ بالسَّمْنِ، فخُفِّف وجُعِل اسمًا للصَّنَم(٦).

بينما انتصر ابنُ دريد لقراءة الجمهور محتجًّا بأنه لم يجئْ فِي الشّعْر (اللات) إِلَّا بِالتَّخْفِيفِ، قَالَ زيد بن عَمْرو بن نفَيْل:

تركتُ اللاتَ والعُزَّىٰ جَمِيعًا كَذَلِك يفعلُ الْجَلْدُ الصبورُ

وَقد سموا فِي الْجَاهِلِيَّة: (زيد اللات) بِالتَّخْفِيفِ لَا غير(١).

---

(١) تفسير الثعلبي: ١٤٨/٥، وتفسير الكشاف: ٣٦٩/٢، والمحرر الوجيز: ١٤٢/٣، وتفسير الرازي: ٢٩٨/١٧، وتفسير القرطبي: ٣٨١/٨، وتفسير البيضاوي: ١٢٣/٣، والبحر المحيط: ١٠٤/٦.

(٢) تفسير البيضاوي: ١٢٣/٣.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٠٠/٥، والبيت من المتقارب وهو بلا نسبة في البحر المحيط: ١٤/١٠، والدر المصون: ٩١/١٠.

(٤) الكامل في القراءات للهذلي: ٤٢٧، والبحر المحيط: ١٥/١٠، والدر المصون ٩٢/١٠.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٩٧/٣، وتفسير الطبري: ٥٢٣/٢٢، ومعاني القرآن للزجاج: ٧٣/٥، وتفسير السمرقندي: ٣٦١/٣، وتفسير البغوي: ٣٠٨/٤، وتفسير الكشاف: ٤٢٢/٤، وتفسير القرطبي: ١٠٠/١٧، والبحر المحيط: ١٥/١٠.

(٦) التكملة للصاغاني: ٣٣٧/١، واللسان (ل ت ت): ٨٣/٢، والتاج (ل ت ت): ٧٤/٥.

كما أن سياق الآيات يؤيد ما ذهب إليه؛ فقد عدَّد الله (ﷻ) الأصنام المعبودة من دونه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم:١٩/ ٢٠]، ثم قال بعدها: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]؛ لأنهم قَالُوا: هَذِهِ الأصنام والملائكةُ بنات الله(٢)، ويعضده قوله (ﷻ): ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء: ١١٧] يعنىٰ جمع (أنثىٰ)(٣) فقد سميت إناثًا؛ لأنهم سموها اللات والعزىٰ ومناة، وهذا عندهم إناث، وقال الحسن: أي ما يعبدون إلا حجارةً وخشبًا(٤)، وسُمِّيتْ أصنامهم إناثًا لأنهم كانوا يُلْبسونها أنواعَ الحُلِيّ ويسمونها بأسماءِ المؤنثات نحو: اللات والعزىٰ ومَناةَ(٥)، بعكس قراءة (اللاتّ) بالتشديد فتبدو خارج سياق الآيات تمامًا.

المبحث الثاني : **الاختلاف في الاشتقاق دون الدلالة** :

من قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]

قراءة الجمهور: ﴿ وَخَرَقُوا۟ ﴾ بتخفيف الراء، وقرأ نافع: (وخرّقوا) بالتشديد، للمبالغة والتكثير؛ لأن المشركين ادَّعوا الملائكةَ بناتِ الله، والنصارىٰ المسيحَ، واليهود عزيرًا.

وقرأ ابن عباس وأبو رجاء وأبو الجوزاء: (وحرّفوا) بحاء غير معجمة وبتشديد الراء وبالفاء(٦).

وأما قوله: ﴿ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ فإنه يعني بقوله: (خرقوا) اختلقوا، يقال: اختلق فلان علىٰ فلان كذبًا واخترقه: إذا افتعله وافتراه(٧)

وأما قراءة أبي الجوزاء (وحَرَّفُوا له) بالحاء والفاء، وهي منسوبة لعمر وابن عباس (رضي الله عنهم)، كما ذكر ابن جني(٨)، فلا تبعد كثيرًا عن قراءة الجمهور فهي شاهدٌ علىٰ كذبهم، ومثله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]، وأصله من الانحراف؛ أي: الانعدال عن القصد، وكلاهما من حرْفِ الشيء؛ لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة ومعنىٰ الجميع: كَذبوا(٩).

المبحث الثالث : **الاختلاف في الدلالة دون الاشتقاق** :

---

(١) الجمهرة ٨٠/١، ٨١، والبيت من الوافر لزيد بن عمرو بن نفيل كما في المزهر: ٢٨٠/٢، وبلا نسبة في خزانة الأدب للبغدادي: ٢٢٥/٧، تح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
(٢) معاني القرآن للفراء: ٩٨/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢١٠/٩.
(٤) معاني القرآن للنحاس: ١٩١/٢.
(٥) الدر المصون: ٩١/٤.
(٦) زاد المسير: ٦١/٢.
(٧) تفسير الطبري: ٨/١١.
(٨) المحتسب: ٢٢٤/١.
(٩) المحتسب: ٢٢٤/١.

١- من قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]

قرأ الجمهور: ﴿حَمُولَةً﴾ بفتح الحاء، وقرأ عكرمة وأبو المتوكل وأبو الجوزاء: (حُمولة) بضم الحاء (١).

وَالْحَمُولَةُ: مَا أَطَاقَ الْحَمْلَ وَالْعَمَلَ من الدواب، وقِيلَ: هو لفْظٌ مخْتَصٌّ بِالْإِبِلِ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا احْتَمَلَ عَلَيْهِ الْحَيَّ مِنْ حِمَارٍ أَوْ بَغْلٍ أَوْ بَعِيرٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ عليه الأحمال أو لم تكن(٢).

وعلة مجيئها بتاء التأنيث: أن فَعُولَةٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ إِذَا كَانَتْ بِمَعْنَىٰ الْفَاعِلِ اسْتَوَىٰ فِيهَا الْمُؤَنَّثُ وَالْمُذَكَّرُ، نَحْوَ قَوْلِكَ: رَجُلٌ فَرُوقَةٌ وَامْرَأَةٌ فَرُوقَةٌ لِلْجَبَانِ وَالْخَائِفِ، وَرَجُلٌ صَرُورَةٌ وَامْرَأَةٌ صَرُورَةٌ إِذَا لَمْ يَحُجَّا، فَإِذَا كَانَتْ بِمَعْنَىٰ الْمَفْعُولِ فُرِّقَ بَيْنَ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ بِالْهَاءِ كَالْحَلُوبَةِ وَالرَّكُوبَةِ(٣).

وَحَكَىٰ النَّحْوِيُّونَ الْكُوفِيُّونَ: أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: امْرَأَةٌ صَبُورٌ وَشَكُورٌ بِغَيْرِ هَاءٍ، وَيَقُولُونَ: شَاةٌ حَلُوبَةٌ وَنَاقَةٌ رَكُوبَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَا كَانَ لَهُ الْفِعْلُ وَبَيْنَ مَا كَانَ الْفِعْلُ وَاقِعًا عَلَيْهِ، فحذفوا الهاء مما كان فاعلا وأثبتوا فِيمَا كَانَ مَفْعُولًا، كَمَا قَالَ:

فِيهَا اثْنَتَانِ وأربعون حلوبة سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ(٤).

وجمهرة اللغويين علىٰ التفرقة بين الفتح والضم: فأبو الهيثم علىٰ أن الحَمُولَة من الْإِبِل -بِفَتْح الْحَاء- الَّتِي تَحْمِلُ الْأَحْمَال علىٰ ظُهُورهَا، والحُمُولة بِضَم الْحَاء هِيَ الأَحْمَال الَّتِي تُحْمَل عَلَيْهَا، وَاحِدُها حِمْلٌ وأَحْمَالٌ وحُمُولٌ وحُمُولة، ووافقه الْأَصْمَعِي وأَبُو عبيد(٥).

٢- قول الله (ﷻ): ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ [يونس: ٧١]

قرأ الجمهور: ﴿مَّقَامِى﴾ بفتح الميم، وقرأ أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء: (مُقامي) برفع الميم(٦).

وأنكر ابْنُ عَطِيَّةَ هذه القراءة قائلًا: وَلَمْ يُقْرَأْ هُنَا بِضَمِّ الْمِيمِ(٧)، وردَّ عليه أبو حيان بأنه لَيْسَ كَمَا ذَكَرَ، بَلْ قَرَأَ مُقَامِي بِضَمِّ الْمِيمِ أَبُو مِجْلَزٍ وَأَبُو رَجَاءٍ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ(٨)، كما عقب السمين الحلبي علىٰ قول ابن عطية - متعجبًا من إنكاره- بقوله: "كأنه لم يَطَّلع علىٰ قراءةِ هؤلاء الآباء"(٩).

---

(١) زاد المسير: ٨٦/٢.
(٢) تفسير القرطبي: ١١١/٧.
(٣) تفسير القرطبي: ١١١/٧.
(٤) تفسير القرطبي: ٥٦/١٥، واللباب لابن عادل: ٤٧٤/٨، والبيت من الكامل لعنترة كما في ديوانه: ص ١٥٤، ينظر: ديوان عنترة بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
(٥) تصحيح الفصيح وشرحه لابن دُرُسْتَوَيْه: ٣٥٧، تح: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م، والتهذيب (ح م ل): ٥٩/٥، والصحاح (ح م ل): ١٦٧٨/٤، والمقاييس (ح م ل): ١٠٧/٢، والمحكم (ح م ل): ٣٧٠/٣، واللسان (ح م ل): ١٧٩/١١، والمزهر: ١٢٨/٢.
(٦) زاد المسير: ٣٤٠/٢، وينظر في نسبة القراءة: تفسير الماوردي: ١٢٦/٣، والدر المصون: ٢٣٩/٦.
(٧) المحرر الوجيز: ١٣١/٣، وتفسير القرطبي: ٣٦٢/٨.
(٨) البحر المحيط: ٨٧/٦، ودراسات لأسلوب القرآن: ٣١٣/٦.
(٩) الدر المصون: ٢٣٩/٦.

كما أثبتها الماوردي مفرقًا بين المَقام بالفتح وبين المُقام بالضم: فبالضم فعل الإقامة، وبالفتح مكان الإقامة(١).

٣- قول الله (ﷻ): ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]

وقرأ أبو الجوزاء وقتادة بكسر القاف، وهي رواية عبد الوارث عن أبي عمرو(٢).

وَالْمُرَادُ مِنْ قَصَصِهِمْ: قِصَّةُ يُوسُفَ (عليه السلام) وَإِخْوَتِهِ وَأَبِيهِ، وهو الأَوْلىٰ كما قال الفخر الرازي(٣)، ويقوي قراءة الجمهور بالفتح: أن الِاعْتِبَارَ بِقَصَصِهِمْ مِنْ وُجُوهٍ هي: إِعْزَازُ يُوسُفَ (عليه السلام) بَعْدَ إِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ، وَإِعْلَاؤُهُ بَعْدَ حَبْسِهِ فِي السِّجْنِ، وَتَمَلُّكُهُ مِصْرَ بَعْدَ اسْتِعْبَادِهِ، وَاجْتِمَاعُهُ مَعَ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ عَلَىٰ مَا أَحَبَّ بَعْدَ الْفُرْقَةِ الطَّوِيلَةِ(٤).

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ قَصَصُ الرُّسُلِ لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ قَصَصِ سَائِرِ الرُّسُلِ، وهذا يقوي قراءة الكسر، كما قال الزمخشري(٥)، يقول السمين الحلبي: "وقرأ أبو عمرو في رواية عبد الوارث والكسائي في رواية الأنطاكي: «قِصصهم» بكسر القاف وهو جمع قِصة، وبهذه القراءة رجَّح الزمخشري عَوْدَ الضمير في «قِصصهم» في القراءة المشهورة علىٰ الرسل"(٦).

٤- قول الله (ﷻ): ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦]

قرأ الأعمشُ وعاصمٌ ورجالٌ من أهل المدينة **جئْتُ** خفيفة، والمعنىٰ: (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) بالطاعة (فَفَسَقُوا): أي أن المُترفَ إذا أُمر بالطاعة خالفَ إلىٰ الفسوق(٧)، وهو كقولك: أمرتُك فعَصيْتنىٰ، فقد عُلِم أن المعصية مخالفةُ الأمرِ، وكذلك الفسق: الخروج عن أمْرِ الله(٨)، يقول الطبري: "فإن الأغلب من تأويله: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم اللهَ، وخلافهم أمره، كذلك تأوّله كثير ممن قرأه كذلك"(٩).

وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: (أَمِرْنا) بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة(١٠).

وذهب أبو عبيد إلىٰ أن الفعل بكسر الميم بمعنىٰ: أكثرنا مترفيها، وهىٰ من قولهم: قد أَمِرَ بنو فلان، أي كثُروا، ومن ذلك قولُ لبيد:

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ ... قُلٌّ وإنْ أكثَرَتْ مِنَ العَدَدِ
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أَمِرُوا ... يَوْما يَصِيرُوا للقُلِّ والنَّقَدِ(١)

---

(١) تفسير الماوردي: ١٢٦/٣.
(٢) زاد المسير: ٤٧٨/٢، وهي لأبي عمرو في رواية عبد الوارث، وللكسائي في رواية الأنطاكي كما جاء في الدر المصون: ٥٦٨/٦، واللباب لابن عادل: ٢٣١/١١.
(٣) تفسير الرازي: ٥٢٢/١٨.
(٤) البحر المحيط: ٣٣٧/٦، ودراسات لأسلوب القرآن: ٤٨٠/٧.
(٥) تفسير الكشاف: ٥١١/٢، وينظر: تفسير الرازي: ٥٢٢/١٨.
(٦) الدر المصون: ٥٦٨/٦، واللباب لابن عادل: ٢٣١/١١.
(٧) معاني القرآن للفراء: ١١٩/٢.
(٨) معاني القراءات للأزهري: ٩٠/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٤٠٣/١٧.
(١٠) زاد المسير: ١٦/٣.

وأكد علىٰ ذلك بأن الفَرَسَ أو المُهرة المأمورة هي الكثيرة النتاج، وفيها لغتان: يقال: أَمِرَها الله فهي مأمورةٌ، وآمرها -ممدودة- فهي مُؤمرةٌ، قال: "ويقال في الكلام: قد أَمِرَ القومُ يَأْمِرون: إذا كَثُروا، وهو من قوله: فرسٌ مأمورةٌ"(٢).

والكثرة ههنا يصلح أن يكون شيئين:

أحدهما: أن يكثر عدد المترفين.

والآخر: أن تكثر جِدَتُهم ويسَارُهُمْ(٣).

وكان الفراء يُضَعِّف هذه القراءة؛ بحجة أن (أَمِر) لا يتعدىٰ إلىٰ مفعول، بينما حكاه أبو زيد متعديًا فيقال: أَمِر اللهُ بني فلان، أي: أكثرهم. وانتصر ابنُ الأنباري لقول الفراء بأن المعروف في كلام العرب: قد أَمِرَ القوم يأمَرون فهم أمِرون: إذا كثروا، مستشهدًا بقول لبيد:

إنْ يُغْبَطوا يُهْبَطوا وإنْ أَمِروا يومًا يصيروا للهُلْكِ والنَّفَدِ

معناه: وإنْ كثروا. وقول الآخر:

أَمِرون ولّادون كلّ مباركٍ طرِفونَ لا يرِثونَ سَهْمَ القُعْدُدِ(٤)

وقال ثعلب علىٰ ما حكاه عنه المطرز في الياقوت: هي قراءة ضعيفة في العربية؛ لأن (فَعِلْنا) لا يتعدىٰ إلا في حروف معدودة(٥).

وخالف الكسائي جمهرة اللغويين منكرًا أن يكون (أَمِرْنا) بمعنىٰ أكثرنا، ورد عليه أبو جعفر النحاس بأن كلامه ينكره أهل اللغة، وقد حكاه جمهرتهم كأبي زيد وأبي عبيدة فيقال: (أَمِرنا) بمعنىٰ أكثرنا، ويقوي ذلك الحديثُ المرفوعُ: "خيرُ المال: سكةٌ مأْبورةٌ، ومُهْرةٌ مأمورةٌ"، والسكةُ المأبورةُ: النخلُ المُلقَّحُ، والمُهْرةُ المأْمورة: الكثيرةُ النتاج(٦)، كما يقويه وروده في الأشعار المحتج بها كما أسلفنا.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ٣٧٢، تح/ محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى- القاهرة، ١٣٨١هـ، وتفسير الطبري: ٤٠٦/١٩، والبيت من بحر المنسرح للبيد بن ربيعة كما في ديوانه: ٥٣٩، ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد: ٣٦٩/٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ٢٣١/٣.

(٤) الزاهر لابن الانباري: ٤٠٤، ٤٠٥، والبيت من الكامل لأبي وجزة السعدي كما في الإبانة للعوتبي: ٤٢٥/٣، وأساس البلاغة: ٦٠٢/١.

(٥) تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لأَبي جَعْفَر الفهرى: ٤٠٤، تح/ د. عبدالملك الثبيتي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م، وقد رجعت إلى ياقوتة الصراط للمطرز فلم أقف على كلامه هناك، ينظر: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبي عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب: ٣٠٦/١، تح/ محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم- السعودية/ المدينة المنورة ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(٦) معاني القرآن للنحاس: ٤٠٦، والحديث في مسند أحمد عن سويد بن هبيرة (رضي الله عنه)، عن النبي (ﷺ) قال: "خير مال المرء له مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة" ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٧٣/٢٥، تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

وسار ابنُ سيده علىٰ الدَّرْب مؤكدًا أن أَمِرَ الرَّجُلُ فَهُوَ أَمِرٌ يعني: كَثُرَت ماشِيَتُه، ونص علىٰ أن آمَرَهُ وأَمَرَه لُغَتانِ، ولم يستبعد أن أمر علىٰ مِثالِ عَلِم لُغَة ثالِثَة(١).

وجدير بالذكر أن في الفعل قراءتين أخريين هما:

(أَمَّرْنَا) بِالتَّشْدِيدِ، وهي قراءة مجاهد، ومعناها: سَلَّطْنَا شِرَارَهَا فَعَصَوْا.

و(آمَرْنا) بِالْمَدِّ، ومعناها: أَكْثَرْنَا، وَهي قَرَاءة الْحَسَن وَقَتَادَة وَيَعْقُوب(٢)

ولا شك أن القراءات -جميعًا- متآزرة، تُفضي الواحدةُ إلىٰ الأخرىٰ في تآلُفٍ بديعٍ:

فقراءةُ الجمهور (أَمَرْنا) بقصر الألف وتخفيف الميم مفتوحة هي البداية، فإن الله (ﷻ) بلطفه وكرمه إذا رأىٰ أهل الترف مقيمين علىٰ المعصية زجرهم ونهاهم وأمرهم بالطاعة، ولكنهم -لعنادهم- لجُّوا في طغيانهم ففسقوا فيها بمعصيتهم ربهم، وخلافهم أمره، فسلَّط الله رؤساءها ففسقوا فيها، وهي قراءة أَبي العالية الرياحي (أَمَّرنا مُتْرفيها) بالتشديد وهي من الإمارة، أي جعلناهم أُمراء، وهي موافقة لتفسير ابن عباس، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ [الأنعام/ ١٢٣](٣)، ويقال: إذا أراد اللهُ بقوم صلاحًا، بعث عليهم مصلحًا، وإذا أراد بهم فسادًا بعث عليهم مفسدًا، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها(٤).

فكانت النتيجة أن كثر عددُهم، وكثرت جِدَتُهم ويسَارُهُمْ، وهذا يستفاد من القراءتين: (أَمِرْنا) بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة، و(آمرنا) بالمد وهي لغة في (أَمِرْنا) بمعنىٰ أكثرنا، وكثرة الأمراء في القرية الواحدة سبب لوقوع هلاكهم، ولذلك قيل: لا خير في كثرة الأمراء(٥)

وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ قِرَاءَةَ الْعَامَّةِ وَقَالَ: لِأَنَّ الْمَعَانِيَ الثَّلَاثَةَ تَجْتَمِعُ فِيهَا يَعْنِي الْأَمْرَ وَالْإِمَارَةَ وَالْكَثْرَةَ(٦).

٥- قول الله تعالىٰ: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم: ١٥]

قراءة الجمهور: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ لِأَنَّهَا تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيَتَنَعَّمُونَ بِنَعِيمِهَا وَيَتَنَسَّمُونَ بِطِيبِ رِيحِهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَأْوِيَانِ إِلَيْهَا. وَيُقَال: تأوىٰ إِلَيْهَا أَرْوَاح الشُّهَدَاء(٧).

وقرأ سعيد بن المسيّب والشعبي وأبو المتوكل وأبو الجوزاء وأبو العالية: (جَنَّةُ المأوىٰ) بهاءٍ صحيحة مرفوعة، قال ثعلب: يريدون أَجنَّهُ، وهي شاذَّة. وقيل: معناها: أدركه المبيت يعني رسول الله (ﷺ)(١).

---

(١) المحكم (أ م ر): ١٠/٣٠٠، اللسان (أ م ر): ٤/٢٨.

(٢) تفسير البغوي: ٣/١٢٤.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٢/١١٩، وتفسير الطبري: ١٧/٤٠٣.

(٤) تفسير الطبري: ١٧/٤٠٥.

(٥) المفردات للأصفهاني: ٨٩، وينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٧٣، وغريب القرآن لابن قتيبة: ٢٥٣، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي: ٥/٩١، تح/ بدر الدين قهوجي- بشير جويجابي، الناشر: دار المأمون للتراث- دمشق / بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

(٦) تفسير البغوي : ٣/١٢٤.

(٧) تفسير السمعاني: ٥/٢٩١، وتفسير البغوي: ٤/٣٠٦، وتفسير القرطبي: ١٧/٩٦، والبحر المحيط: ١٠/١٣.

وعن أبي العالية قال: سألني ابنُ عباس: كيف تقرأها يا أبا العالية؟ قال: قلت له: جنة. قال: صدقت هي مثل قوله: ﴿جَنَّتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة: ١٩](٢).

ونصَّ الزجَّاجُ علىٰ أن الأجودَ چگ چ بالتاء؛ لأنه جاء في التفسير أنه يحل فيها أرواح الشهداء(٣).

أما قراءة أبي الجوزاء (جَنَّهُ): جَنَّ فِعْلٌ مَاضٍ، وَالْهَاءُ ضَمِيرُ النبي (ﷺ)، أَيْ عِنْدَهَا سَتَرَهُ إِيوَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ وَجَمِيلُ صُنْعِهِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ ضَمَّهُ الْمَبِيتُ وَاللَّيْلُ. وَقِيلَ: جَنَّهُ بِظِلَالِهِ وَدَخَلَ فِيهِ(٤).

ووجَّهها مجاهدٌ وأبو حاتم علىٰ أن المراد: (أجنَّه) يعني ستره، يقال: جنَّه الليلُ وأَجَنَّه، وهما بمعنًىٰ(٥)، والهاء في هذه القراءة كناية عن النبي (ﷺ)، والمعنىٰ: ستره وضمه إيواء الله تعالىٰ وجميل صنعه به، وَقَالَ الْأَخْفَشُ: أَدْرَكَهُ كَمَا تَقُولُ جَنَّهُ اللَّيْلُ أَيْ سَتَرَهُ وَأَدْرَكَهُ(٦).

وَرَدَّتْ عَائِشَةُ وَصَحَابَةٌ مَعَهَا هَذِهِ الْقِرَاءَةَ وَدَعَوْا علىٰ من يقرأ بها فقَالُوا: أَجَنَّ اللهُ مَنْ قَرَأَهَا، وقيل لسعد بن أبي وقاص: إن فلانـًا يقرأ (عندها جَنَّهُ الْمَأْوىٰ) بالهاء؟ فقال: ما له أجنه الله(٧).

وَإِذَا كَانَتْ قِرَاءَةً قَرَأَهَا أَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) - كعَلِيّ بن أبي طَالب وأنس بن مالك وأَبي هُرَيْرَةَ وَعَبْدِاللهِ بْن الزُّبَيْرِ وأبي الدرداء (رضي الله عنهم)- فَلَيْسَ لِأَحَدٍ رَدُّهَا. وَقِيلَ: إِنَّ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَجَازَتْهَا(٨).

٦- قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢]

قرأ الجمهور بإسكان الصاد، وقرأ ابن عباس وأبو رزين ومجاهد وأبو الجوزاء: (كالقَصَر) بفتح الصاد(١).

---

(١) زاد المسير: ١٦٧/٤، وهي منسوبة لعَلِيّ بن أبي طَالب (ﷺ) كما في المحتسب: ٢٩٣/٢، وتفسير السمعاني: ٢٩١/٥، والدر المصون: ٩٠/١٠، ولأنس بن مالك (ﷺ) ومحمد بن كعب القرظي كما في المحتسب: ٢٩٣/٢، وتفسير الثعلبي ١٤٤/٩، والمحرر الوجيز: ١٩٩/٥، والدر المصون: ٩٠/١٠، وَلأَبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) وَأَبي سَبْرَةَ الْجُهَنِيّ وَعَبْد اللَّهِ بْن الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٍ كما في تفسير القرطبي: ٩٦/١٧، ولأبي الدرداء (ﷺ) كما في المحتسب: ٢٩٣/٢، والبحر المحيط: ١٣/١٠، والدر المصون: ٩٠/١٠.

(٢) تفسير السمرقندي: ٣٦٠/٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٧٣/٥.

(٤) البحر المحيط: ١٣/١٠، وينظر: تفسير السمعاني: ٢٩١/٥، وتفسير البغوي: ٣٠٦/٤، وتفسير القرطبي: ٩٦/١٧، والدر المصون: ٩٠/١٠.

(٥) المحتسب: ٢٩٣/٢، وأنكر بعض اللغويين (جَنَّه) ثلاثيا، وقالوا: هو شاذٌّ، والمستعملَ أَجَنَّه رباعيًّا، فإن استعمل ثلاثيًّا تَعَدَّى بـ (على) كقولِه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ [الأنعام: ٧٦]، ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٢/٤، والدر المصون: ٩٠/١٠.

(٦) تفسير الثعلبي: ١٤٤/٩، وينظر: الهداية لمكي: ٧١٥٤/١١، والمحرر الوجيز: ١٩٩/٥، وتفسير الرازي: ٢٤٤/٢٨، وتفسير القرطبي: ٩٦/١٧.

(٧) ينظر: تفسير السمرقندي: ٣٦٠/٣، والهداية لمكي: ٧١٥٤/١١، وتفسير الكشاف: ٤٢١/٤، والمحرر الوجيز: ١٩٩/٥، وتفسير الرازي: ٢٤٤/٢٨، والبحر المحيط: ١٣/١٠، والدر المصون: ٩٠/١٠.

(٨) ينظر: البحر ١٣/١٠، والدر المصون: ٩٠/١٠.

أما قراءة الجمهور ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ بِإِسْكَانِ الصَّادِ فتعني: الْحُصُونِ وَالْمَدَائِنِ، فيكون شبَّه النار فِي الْعِظَمِ بوَاحِد الْقُصُورِ تهويلًا، وَهُوَ فِي مَعْنَىٰ الْجَمْعِ عَلَىٰ طَرِيقِ الْجِنْسِ، وهو رأي جمهرة اللغويين(٢).

وأما قراءة أبي الجوزاء كالقَصَرِ (بفتح الصاد) فاختلفوا في تأويله:

فعن ابن عَبَّاسٍ (ﷺما): (كالقَصَر) قَصَر النخل؛ الواحدة: قَصَرَة، وذلك أن النخلة تُقَطَّع قدر ثلاثة أذرع وأقصر وأطول، يستوقدون بها في الشتاء.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: هو أصول الشجر يكون في البرية، فإذا جاء الشتاءُ قُطعت أغصانُها فتبقىٰ أصولُها، فيُحرقها البردُ فتسودُّ، فتراها في البرية كأمثال الجمال إذا أُنيخت في البرية.

وقيل: هو أعناقُ النخيل.

وقيل: القَصَرَةُ: اسمُ الخشبة التي تُقطَّع عليها اللحومُ، وتُكسرُ العظامُ، تكونُ للقصَّابين، بلغةِ أهلِ الحجازِ(٣).

وتتكامل القراءتان في الإخبار عن عِظَمِ شَرَر جهنم وقدرها، خلافًا لما عليه سائر الشرر في الدنيا؛ لأن شرر الدنيا لا يأخذ مكانًا؛ بل يتبين ثم ينطفئ، فإذا كانت الشررةُ المعروفة في الدنيا بهذا القدر فكيف نارها؟ أعاذنا الله منها بمنه وكرمه.

فالقرآن يصوّر شدّة لهيب هذه النيران بضخامة ما يتطاير منها من الشرر، فهو ليس بذرات صغيرة كهذه الذّرّات التي تتصاعد من نار هذه الحياة الدنيا، ولكنه شرر كجذوع الشجر الضخم، أو الجمال الصفر، فليترك المجال للخيال، يتصوّر هذه النيران تلقىٰ مثل هذا الشرر(٤).

وجائز -أيضًا- أن يكون هذا بيان لتنوع شررها في عظمته وشدته: فبعضه كالخيام، وبعضه كالقصور، وبعضه كأصول الأشجار(٥).

---

(١) زاد المسير: ٣٨٥/٤، وينظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤، وتفسير السمعاني: ١٣١/٦، وتفسير القرطبي: ١٦٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٧٧/١٠، والقراءة منسوبة لعلي بن أبي طالب (ﷺ) كما في تفسير الثعلبي: ١١٠/١٠، وتفسير البغوي: ١٩٧/٥، ولابن جبير كما في إعراب القرآن للنحاس: ٧٦/٥، والمحرر الوجيز: ٤٢٠/٥، ولأبي عبدالرحمن السلمي كما في تفسير القرطبي: ١٦٣/١٩.

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٥٠٧، وتفسير الطبري: ١٣٧/٢٤، والتهذيب (ق ص ر): ٢٧٩/٨، وتفسير الثعلبي: ١١٠/١٠، والهداية لمكي: ٧٩٦٨/١٢، وتفسير السمعاني: ١٣١/٦، والمحرر الوجيز: ٤٢٠/٥، وزاد المسير: ٣٨٥/٤، وتفسير القرطبي: ١٦٣/١٩.

(٣) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤، والتهذيب (ق ص ر): ٢٧٩/٨، وتفسير الثعلبي: ١١٠/١٠، وتفسير السمعاني: ١٣١/٦، والمحرر الوجيز: ٤٢٠/٥، وزاد المسير: ٣٨٥/٤، والنهاية لابن الأثير: ٦٨/٤.

(٤) ينظر: من بلاغة القرآن لأحمد أحمد البدوي: ٢٣٢، نهضة مصر- القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٥) تفسير الماتريدي: ٣٨٤/١٠، ٣٨٥.

نتائج البحث

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله وكرمه تُرفعُ الدَّرجات، والصلاةُ والسلامُ علىٰ مَنْ خَتَمَ اللهُ به الرسالات، وارضَ اللهمَّ عن آلِهِ وصحبِهِ أُولىٰ الفضْلِ والكرامات، وعنَّا معهم ما دامتِ الأرضُ والسموات، أما بعد ...

فهذه بعضُ النتائجِ التي أذِنَ اللهُ (ﷻ) لي باستخلاصها، من تلك المُعايشةِ الثريةِ مع أبي الجوزاء:

أولًا: كَشَفَ البحثُ عن تابعيٍّ جليلٍ مِنْ كِبَارِ العُلَمَاءِ، من أهلِ الطبقةِ الثانيةِ، أخذ قراءته عن أكابرِ الصحابةِ وعلمائِهِمْ، وقد أجمع علماءُ الجرح والتعديل علىٰ أنه كان ثقةً صدوقًا لم يكذبْ قط، وكان رجلًا ديِّنًا عفَّ اللسان، صدوقَ القلب، لا ينافقُ ولا يماري ولا يتملَّقُ أحدًا، شأن كبار التابعين.

ثانيًا: يُعدُّ أبو الجوزاء ممَّنْ عاشوا كاملَ حياتِهِم في القرنِ الأولِ الهجريِّ -عصر الفصاحة والاحتجاج- بما يضمنُ للغته السلامةَ والفصاحةَ، والبعدَ عن أي لحن أو خطأ.

ثالثًا: ستظل القراءاتُ الشاذةُ مَعِينًا لا ينضَبُ، ومما يزيد من الحرص علىٰ العناية بها تكاملُها مع المتواترة في إبرازِ معنًىٰ، أو توضيحِ حكم، أو دَحْضِ شبهة، مما يجعل دراستهما معًا من الأهمية بمكان.

رابعًا: أبرز البحثُ غزارةَ المادة اللغوية في قراءة أبي الجوزاء بما حوته من قضايا لغوية عدة، بجانب شمولها مستويات اللغة الأربعة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، اقتصر البحث هنا علىٰ الجانبين الصوتي والدلالي، مما يجعلها حقلًا خصبًا للدراسات اللغوية.

خامسًا: ظهرت المناسبةُ بين الألفاظ ومعانيها في قراءة أبي الجوزاء في قراءته (مُرُدفين) بضم الراء مع الميم: ففيها لونٌ من مناسبة الألفاظ للمعاني، فالترادف في اللغة هو التتابعُ، ومعنىٰ اللفظ بكسر الدال أو فتحها يَعْنَىٰ أن الملائكة مُتْبِعِينَ أَوْ مُتَّبَعِينَ، فإذا كان التتابع يحيط بالكلمة من جميع جوانبها فإن قراءة أبي الجوزاء بضم الراء إتباعًا لضمة الميم تمثل هذا الإتباع لفظيا لتحصل المناسبة بين اللفظ والمعنىٰ.

فهرس قراءات أبي الجوزاء

سورة البقرة

	الآيه	رقمها	قراءة أبي الجوزاء	نوعها	رقم الصفحة
١	﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾	٢٤٩	غَرْفه بفتح الغين	سبعيه	

سورة النساء

٢	﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾	٥ ٥	(من صِد عنه) بكسر الصاد	شاذة	
٣	﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾	١ ١٧	(إلا وَثنا): بفتح الواو والثاء	شاذة	
٤	﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ﴾	١ ٦٣	يُونس بفتح النون من غير همز	شاذة	

سورة المائدة

٥	﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ﴾	٨ ٩	(او كسوتهم) بضم الكاف	شاذة	

سورة الأنعام

٦	﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾	١ ٠٠	وحرّفوا: بالحاء والفاء	شاذة	
٧	﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾	١ ٤٢	(حَموله) بضم الحاء	شاذة	

سورة الأعراف

٨	﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾	٤ ٠	الجَمْل بفتح الجيم وبسكون الميم	شاذة	
٩	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾	٥ ٧	بضم الباء والشين: (بُشرًا)	متواترة	

سورة الأنفال

١٠	﴿مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾	٩	مُرْدفين: بضمتين	شاذة	

سورة التوبة

١١	﴿لَّوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـَٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾	٥ ٧	(او مُتدخلا) بفك الإدغام	شاذة	

سورة يونس (عليه السلام)

١٢	﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾	٧ ١	(مُقامي) بضم الميم	شاذة	
١٣	﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾	٩ ٢	خَلْفَك: بالقاف	شاذة	

سورة يوسف (عليه السلام)

١٤	﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ﴾	١ ١١	قِصصهم: بكسر القاف	شاذة	

سورة إبراهيم (عليه السلام)

١٥	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾	٤	بِلِسْن: بغير الف	شاذة	

سورة الإسراء

١٦	﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾	١ ٦	امرْنا: بفتح الهمزة مكسورة الميم	شاذة	
١٧	﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾	٢ ٣	أفٌ: بالرفع والتنوين وتشديد الفاء	شاذة	

سورة الكهف

١٨	﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾	٤ ١	(غَوْورًا): بالهمز	شاذة	

سورة طه

٩	﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾	٩ ٧	(ظلت) برفع الظاء	شاذة	

سورة الأنبياء

٠	﴿ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾	١ ٠٤	السِّجْلِ: بإسكان الجيم	شاذة	

سورة الحج

١	﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾	٣ ١	بكسر التاء والخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء: فَتِخَطَّفُه	شاذة	

سورة المؤمنون

٢	﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾	٥ ٣	زُبْرًا برفع الزاي وإسكان الباء	شاذة	

سورة الشعراء

٣	﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٦ ٣	(فِلَقٍ) باللام	شاذة	
٤	﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾	١ ٥٥	(لها شَرْبٌ) بضم الشين	شاذة	

سورة الأحزاب

٥	﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم ﴾	١ ٩	صلقوكم بالصاد	شاذة	

سورة يس

٦	﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾	٥ ٥	فكهون: بغير ألف	متواترة	

سورة النجم

٧	﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾	١ ٥	(جَنه الماوى) بالهاء	شاذة	
٨	﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾	١ ٩	اللاتّ مشددة التاء	شاذة	

سورة المرسلات

٩	﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣ ٢	كالقصَر: بفتح الصاد	شاذة	

سورة عبس

٠	﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾	٦	(تتصدى) بتاءين	شاذة	

أهم المصادر والمراجع

- الإبانة في اللغة العربية للعوتبي، تح/ د. عبدالكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة- مسقط- سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- إتباع الحركة في القراءات د. محمد أحمد خاطر، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي، تح/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية- لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٩م.

- الإدغام والفك بين القراء واللغويين د.عبدالغفار هلال، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة.
- ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان، تح/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، تح/ علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

- أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال، مطبعة الجبلاوي، ط٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .
- الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٤م.
- الأصول في النحو لابن السراج، تح/ عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت.
- إعراب القرآن للنحاس، تح/ عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي، تح/ د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- البحر المحيط لأبي حيان، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركاه، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي، تح/ محمد علي النجار، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٦ه/ ١٩٩٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تح/ عبدالكريم العزباوي وآخرين، سلسلة التراث العربي من إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .
- تاريخ ابن معين ليحيىٰ بن معين، تح/ د. أحمد محمد نور، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- تاريخ الإسلام للذهبي، تح/ د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
- تاريخ الثقات لأبي الحسن العجلي، دار الباز، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م.
- التاريخ الكبير للإمام البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
- تاريخ دمشق لابن القلانسي، تح/ د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- التاريخ وأسماء المحدثين لأبي عبدالله المقدمي، تح/ محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الكتاب والسنة، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- التبيان في إعراب القرآن للعكبري، تح/ علي محمد البجاوي، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.
- التبيان في تصريف الأسماء د. كحيل، مطبعة السعادة، ط٦، ١٩٧٨م.
- تُحْفَةُ الأَقْرَانِ فِي مَا قُرِئَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْ حُرُوفِ القُرْآنِ لأبي جعفر الأندلسي، الناشر: كنوز أشبيليا- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٨٢هـ=٢٠٠٧م.
- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لأَبي جَعْفَر الفهرىٰ، تح/ د. عبدالملك الثبيتي، جامعة أم القرىٰ- مكة المكرمة، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م.
- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم لعبدالرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- تصحيح الفصيح وشرحه لابن دُرُسْتَوَيْه، تح/ د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية [القاهرة]، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الأندلسي، تح/ د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع- الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

- تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لشهاب الدين الآلوسي، تح/ علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- التفسير البسيط للواحدي، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للبغوي، تح/ عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تح/ محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) لأبي إسحاق الثعلبي، تح/ الشيخ الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- تفسير الراغب الأصفهاني، تح/ د. محمد عبدالعزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١: ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) لابن جرير الطبري، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م
- تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب= التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تح/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.
- تفسير الكشاف للزمخشري، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- التفسير الوسيط للواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)، تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصغاني، تح/ مجموعة من العلماء، الناشر: مطبعة دار الكتب، القاهرة.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تح/ د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تح/ عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين القيسي الدمشقي الشافعي، تح/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- الثقات لابن حبان، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: د. محمد عبدالمعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣ه/ ١٩٧٣م.
- جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، جامعة الشارقة– الإمارات، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٢٧١هـ=١٩٥٢م.
- الجمهرة لابن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدرآباد، ط١، ١٣٤٤هـ.
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِىٰ وكِفَايةُ الرَّاضِىٰ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين الخفاجي، دار النشر: دار صادر– بيروت.
- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، تح/ د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق– بيروت، ط٤، ١٤٠١ه.
- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، تح/ بدر الدين قهوجي- بشير جويجابي، دار المأمون للتراث- دمشق / بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث: د.الموافي البيلي، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- خزانة الأدب للبغدادي، تح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- خصائص اللغة العربية د. جبل، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.
- الخصائص لابن جني، تح/ د. محمد علي النجار، الدار العلمية (د ت).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تح/ د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ/ محمد عبدالخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة.
- ديوان عنترة بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنىٰ به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

- ذِكْرُ أسماء التابعين ومَنْ بَعْدهم ممن صَحَّتْ روايتُه عن الثقات عند البخاري ومسلم، للدارقطني، تح/ بوران الضناوي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- رجال صحيح مسلم لابن مَنْجُويَه، تح/ عبدالله الليثي، دار المعرفة– بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تح/ عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- السبعة لابن مجاهد، تح/ شوقي ضيف، دار المعارف– مصر، ط٢، ١٤٠٠ه.
- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصح المصري الشافعي المقرئ، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي– مصر، ط٣، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.
- سِيَرَ السَّلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، تح/ د. كرم بن حلمي بن فرحات، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك لنور الدين الأُشْمُوني الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- شرح التسهيل المسمىٰ (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد) لناظر الجيش: ، تح/ د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
- شرح التصريح علىٰ التوضيح للشيخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تح/ عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرىٰ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١.
- شرح المفصل لابن يعيش، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنُّوَيْري، تح/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تح/ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، ١٩٩٠م.

- صحيح البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح/ محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- الطبقات الكبرىٰ لابن سعد، تح/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- الطبقات لخليفة بن خياط ، تح/ د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- علم الصوتيات د. عبدالله ربيع ود. عبدالعزيز علام، مكتبة الرشد، ط٣، ١٤٣٠ه/ ٢٠٠٩م.
- علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، دار المعارف مصر ١٩٧١م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ط٢، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
- العين للخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.
- الغرر المثلثة والدرر المبثثة للفيروزابادي، تح/ د. سليمان العابد، نزار مصطفىٰ الباز، ط٢، ٢٠٠١م.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم، تح/ د. محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.
- غريب القرآن لابن قتيبة، تح/ د. عبدالله الجبوري، مطبعة العاني بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.
- فتح الباب في الكُنىٰ والألقاب لابن مَنْدَه العبدي، تح/ أبو قتيبة محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر– الرياض، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- في اللهجات العربية د. أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٩، ١٩٩٥م.
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبدالفتاح القاضي، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٨١م.
- قراءة أبي السَّمَّال العدوي د. حمدي عبدالفتاح مصطفىٰ، مكتبة الآداب، ط٢، ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢م.

- قراءة أبي عبدالرحمن السلمي دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبدالتواب الأكرت، ط١، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.
- قراءة أبي عبدالله الزعفراني دراسة لغوية في ضوء مستويات علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير للباحث/ حاتم مصطفىٰ أبو سعيدة، كلية اللغة العربية بالمنوفية.
- قراءة يحيىٰ بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي د. أحمد طه سلطان، مكتبة وهبة ط١، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م.
- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم الهُذَلي، تح/ جمال الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
- كتاب فيه لغات القرآن للفراء، تح/ جابر بن عبد الله السريع، عام النشر: ١٤٣٥هـ.
- الكتاب لسيبويه، تح/ عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب، تح/ د. محيىٰ الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٣هـ=١٩٧٤م .
- الكُنَىٰ والأسماء للإمام مسلم، تح/ عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.
- اللغة لفندريس، تعريب الأستاذين: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ط لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ=١٩٥٠م.
- اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
- المبسوط في القراءات العشر للنيسابوري، تح/ سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية– دمشق، ١٩٨١م.
- مَتْنُ طَيِّبَةِ النَّشْرِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ لابن الجزري، تح: محمد تميم الزغبي، دار الهدىٰ، جدة، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- المثلث لابن السيد البطليوسي، تح/ صلاح الفرطوسي، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، تح/ محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجىٰ– القاهرة، ١٣٨١هـ.
- مجمل اللغة لابن فارس ، تح/ زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تح/ عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تح/ د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- المخصص لابن سيده، تح/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- المدخل إلىٰ علم أصوات العربية د. غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٣ه.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- المصباح المنير للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب- جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م
- معاني القرآن للأخفش، تح/ هدىٰ محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- معاني القرآن للفراء، تح/ محمد علي النجار وآخرين، ط١دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر،.
- معاني القرآن للنحاس، تح/ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرىٰ- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تح/ عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- المعجم العربي لأسماء الملابس د. رجب عبدالجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
- معجم ديوان الأدب للفارابي، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م
- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) المؤلف: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة– بيروت، [١٣٧٧ - ١٣٨٠هـ].

- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار لبدر الدين العينىٰ، تح/ محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة لابن فارس، تح/ عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- المقتضب للمبرد، تح/ محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- مقدمات في علم القراءات لمحمد أحمد مفلح القضاة وآخرين، دار عمار- عمَّان (الأردن)، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١ م.
- مقدمة في علم أصوات العربية د. البركاوي، ط٣، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م.
- من بلاغة القرآن لأحمد أحمد البدوي، نهضة مصر- القاهرة، ٢٠٠٥م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن لعبدالعظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- مُنْجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- المؤتلف والمختلف لابن القيسراني (الأنساب المُتَّفقة في الخط المتماثلة في النَّقْط)، تح/ كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المؤتلف والمختلف للدارقطني، تح/ موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، المطبعة التجارية الكبرىٰ [تصوير دار الكتاب العلمية].
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تح/ طاهر أحمد الزاوىٰ، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبي عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب تح/ محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم- السعودية/ المدينة المنورة ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

فهرس الموضوعات

مقدمة	٢٧٥
الفصل الأول : ابو الجوزاء وقراءته	٢٧٩
المبحث الأول : التعريف بأبي الجوزاء	٢٨٠
المبحث الثاني : قراءة أبي الجوزاء بين القراءات	٢٨٤
الفصل الثاني : قراءة أبي الجوزاء صوتيا	٢٨٩
المبحث الأول: الايقاع في الحركات	٢٩٠
المبحث الثاني : تعاقب الصوامت	٢٩٤
المبحث الثالث : تعاقب الحركات	٢٩٧
المبحث الرابع: الهمز والتسهيل	٣٠٦
المبحث الخامس : الفك والادغام	٣٠٩
المبحث السادس : الحذف	٣١٣
الفصل الثالث : قراءة أبي الجوزاء دلاليا	٣٢٠
المبحث الأول : الاختلاف في الاشتقاق والدلالة	٣٢١
المبحث الثاني : الاختلاف في الاشتقاق دون الدلالة	٣٢٤
نتائج البحث	٣٣١
أهم المصادر والمراجع	٣٣٤
الفهرس	٣٤٣